الرسالة القدسية

فى أسرار النقطة الحسية

تأليف

ابن شهاب الهمدانى

تحقيق

أحمد فريد المزيدى



الهمداني ، ابن شهاب

الرسالة القدسية في اسرار النقطة الحسية

تأليف : ابن شهاب الهمداني

تحقيق : احمد فريد المزيدي

ط1 – القاهرة : دار الآفاق العربية 2010
130 ص ، 24 سم

الطبعة الأولى
1431 هـ – 2010

دار الآفـــاق العربيـــة
نشر – توزيع – طباعة
55 ش محمود طلعت من ش الطيران
مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 22617339 تليفاكس : 22610164
EMIL: daralafk@yahoo . com
EMIL:selimafak@live.com



مقدمة التحقيق

الحمد لله على ما جعل نبيه سيدنا محمدًا المصطفى مبجَّلاً كاملاً لذاته، فتدلى به بجمعية جميع شئونه وأطواره، واجتبى من شاء من كُمّل وراثه لإبراز نوره، وإظهار علومه وأسراره، إنه هو الولي الحميد.

وصل اللهم وسلم وبارك على هذا النبي الكريم وآله وأصحابه مقتفي آثاره ومجتنى ثماره، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد ... فلا يخفى على سالكي الطريقة، وطالبي الحقيقة أن الحق ﷻ متى اصطفى فردًا كاملاً لإظهار بعض علومه وأسراره الكامنة، فهو يتكلم على لسانه، جاعلاً ذلك بمنزلة جارحته، فلا يكون لظهور تلك العلوم والأسرار منه على نمط العلوم الرسمية قاعدة، والفنون الكسبية التي ضبطها العقل أولاً تحت قاعدة ثم أظهرها بعد ذلك مربوطة ومضبوطة، بل إن تلك الأسرار التي هي مودوعة في نفسه المقدسة ويريد ظهورها أنه يبرزها على حسب الواردات والتقريبات فتكون حينًا بالمخاطبة، وحينًا بالمكاتبة، ومرة تلويحًا، وآجالاً أخرى تصريحًا وتفصيلاً، وفي بعض الأوقات باصطلاح، وفي بعض أُخر باصطلاح آخر، وقد يجلو معنى واحدًا مكررًا سواء كان في لباس واحد أم كل بلباس آخر، فأدب الاستفاضة والاستفادة منها، هو ينبغي أن يكون التعرض لتلك النفحات بذلك الوضع الذي صدرت فيه من البيان نثرًا أو نظمًا، ويجب أن تلقى تلك الواردات الغيبية؛ ولكن يجب التصرف في محافظتها ولا يستنكف من تكرارها؛ لأنه مندرج في ضمن هذا المعنى كثير من البركات التي هي واضحة وظاهرة على المتدرب على هذه الطريقة؛ لكون الإلهام في أصل لغته التي ورد فيها.

وإنه لفي كل زمان يرث وارث لهذا المقام الأسنى، فيصبح مجمع الآيات، ومطلع الفيوض والأنوار، ومنبع العلوم والأسرار، مخزن كنوز كمالات الوراثةالنبوية، أو المحمدية، معدن نقود رموز الوصاية الأحمدية، مجدد قواعد الشريعة، مقنن قوانين الطريقة، مبين غوامض المعرفة، محقق دقائق الحقيقة، فيمدُّ الله ظلال إرشاده على العالمين إلى يوم الدين، كما هو ثابت عند أهل المعرفة والإيمان، من تحقق الكمالات الإلهية الظاهرة بالفعلية الخارجية، في صورة العلوم والمعارف، والمظاهر الأسمائية والصفاتية، فجميع علوم الوارث وأسراره مع عدم عصمتها من الخطأ في الحقيقة هي علوم حضرة النبي ﷺ وأسراره ، والمحافظة عليها مورث شمول البشارة.

فإليك دُررًا مباركة من جملة أسرار الكُمَّل وفيوضاتهم من حضرات الكمال:

فأولها: «الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية المشيرة إلى أسرار الهُوية الغيبية» للشيخ السيد على الهمداني. وهي تبحث في أسرار النقطة وحقائقها، وما يندرج تحتها.

والثانية: «كشف الغمة النفسانية في معرفة الصورة الإنسانية» لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن منصور المقدسي. وهي تكشف عن حقائق الصور الرحمانية في الصورة الإنسانية، وتحقق المظاهر الأسمائية والصفاتية في جناب المتحقق لذلك.

والثالثة: «نور الدلالات لمشاهدة التجليات» للشعيبي الحجازي السنديوني، وهي رسالة تبحث في معارف وأطوار التجلي الجزئي والكلي والشهودي والغيبي إلى عالم الشهادة تجليًا جماليًا وجلاليًا بنوره إلى نوره، ومن بطونه إلى ظهوره؛ ليعرف المتجلى له من تجلى وبذاته تجلى.

والرابعة: «صادحة الأزل» للشيخ مصطفى البكري، وهي صادحة من التنزلات السبوحية، واللوامع البرقية، والنواميس الروحية، من حضرة «قاب قوسين أو أدنى».

والخامسة: «الكلام على أسرار البسملة» للشيخ الباني، وهي شارحة لحقائق أحرف البسملة، ودقائق أسرارها، وفيوض أنوارها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصل اللهم وصلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً تجعلنا بها من المحبوبين لديك ولديه، وأجل صلوات الله عَلَى أكبر خلق الله، وأزكى صلوات الله عَلَى أجمل خلق الله، وأنمى صلوات الله عَلَى أرقى خلق الله، وأوفى صلوات الله عَلَى أسخى خلق الله، وأسنى صلوات الله عَلَى أنور خلق الله، وأثنى صلوات الله عَلَى أمدح خلق لله، وأعلى صلوات الله عَلَى أرفع خلق الله، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وكتبه العبد الفقير الحقير: أحمد فريد المزيدي، وذلك بداره الحقيقة المحمدية لإحياء تراث السادة الصوفية (٠١٠١٤٦٣٠٢٧) elmazidi٢٠٠٠@yahoo.com

❁❁❁

ترجمة المصنف

هو السيد على بن شهاب الدين حسن بن محمد الحسيني الهمذاني.

ولد في الهند في ٧١٤ هـ.

استقر في «كشمير» وأسلم على يده أكثر أهلها.

وتوفي سنة ٧٨٦ بتيراه من أرض باغستان، ودفن في «ختلان» من أعمال بدخشان، بالهند.

له تصانيف بالعربية والفارسية، منها:

- الرسالة الذكرية.
- منازل السالكين.
- شرح أسماء الله الحسنى.
- الرسالة الخواطرية .
- الخطبة الأميرية.
- شرح فصوص الحكم.
- شرح القصيدة الخمرية لسيدي ابن الفارض. (بالفارسية)، وسماه: «مشارب الأذواق».
- ذخير الملوك (فارسي).
- الأوراد الفتحية.
- الرساله القدسية في أسرار النقطة الحسية (كتابنا هذا).

وانظر: (كشف الظنون (١/ ٨١، ٢٠١، ٨٢٤)، (٢/ ١٢٦٢، ١٣٣٨)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٩٤).

* * *

الرسالة القُدسية

في أسرار النُّقطة الحسية

المشيرة إلى أسرار الهُوية

الغَيبية

تصنيف

السيد على بن شهاب بن محمد الهمداني ٧٨٦ هـ

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ظهر بها شاء لمن شاء بمشيئته، وأستتر عمن شاء باستتار غرته السرمدية، وجعل خصائص النقطة بقدرته آية دالة على حقائق أحديته الغيبية، وأطلع طوالع حقائقها في عالم الرقم، عكوسًا لشئون تجلياته الذاتية، وتنزلات آياته القدسية، وصيرها بحكمته لصور الحروف الخطية، وأعيان الكلمات الرقمية، ثم سترها بها أظهره بها منها؛ لتبين الدلالات على الأمور الإلهية، وإنشاء تصاريفها في عرصة الرقم، مشيرة إلى تصاريف أنوار الوحدة تارة في قوابل مراتب الكثرة الكونية واستهلاك ذوات الأعيان أخرى في سطوة بروج إطلاقاته الحقيقية وهُويته الغيبية.

والصلاة على من أُرسل إلى كافّة البرية، هاديًا إلى جَناب المحمدية، وخصه بكشف الأستار عن وجوه الأسرار العلوية والسفلية، وعلى آله وحزبه الأسرار العلية، وأصحابه الآثار السنية .

أما بعد ... فلما شاع بين أهل العلم أن أرفع العلوم وأشرفها علم التوحيد لشرف موضوعه، وجلالة شأن معلومه، وإن كان موضوع علم الكلام النظري، والحكمة الفلسفي، أيضًا موضوع هذا العلم؛ لكن البحث عن كيفية وصول العبد إلى الحضرة الربوبية، والقرب من جناب الألوهية الذي هي غاية المطالب ونهاية المقاصد، ومعرفة أسرار أسماء الله وصفاته ومظاهر آياته في العوالم العلوية والسفلية وصدور درجات الكثرة عنها ورجوعها إليها بدقائق أنوع السلوك، وشديد أصناف المجاهدات وتهذيب النفس بأقسام الرياضات، وتخليصها عن القيود الجزئيات وأشرافها، ينبعث الإطلاق ليس من شأن الحكيم، والمتكلم وما فاز بهذا العلم الخطير والفضيل الكبير إلا أكابر الأولياء المتألهون، وأفاضل الأتقياء المتحققون، الذين ذبحوا أنفسهم بسيوف الرياضات، وأذابوا جوارحهم ببساط السياسات، وأذابوا أبدانهم بنيران المجاهدات، وأعرضوا عن طلب لذات الفاني للوصول إلى حياض زلال المعاني، فأجلست سرائرهم على سرور الشهود، وأطلقت ضمائرهم في ميدان الحروف مرتبطة بأصول هذا العلم الشريف، وحقائق أسرار النقطة إحدى المدارات التي تدور عليها دقائق علم التوحيد، أردت أن أعلق بعض ما ورد على سر من أسرارها وخصائصها وذواتها، بصور الأعيان الحروفية، وتصاريفها المشيرة إلى شئون التجليات الإلهية، فشرعت في تسويد هذه الأوراق بلسان الذوق والإشارة لا ما تواطأت عليه عادة أرباب العلوم الرسمية في

العبارة من تصوير المسائل بإثبات الدلائل، فإن جناب أسرار الجليل أرفع من أن يصل إليه البصائر الكليلة بالدلائل، وأنوار سرادق الحضرة الصمدية، أسمى من أن يحوم حولها خفافيش العقول بالتأويل من بذات الهمم العالية طالت في جو الطلب لقصد إدراك هذا السر الشريف، فحيل بينهما وبين الأدب، وكم من جياد العقول السليمة جالت في ميدان النظر طمعًا في الوصول إلى حقيقة الخبر فخسرت غير مقضية الوطر، فطلب الدليل على صحة علم الأسرار، كطلب الحيتان الدليل على حقيقة الماء من البحر الذخار، فإن من كانت نفسه عين الدليل استغنى بذاته عن دليل السبيل، وسبب اختفاء صحة هذا الإمام عن الأبصار العلية لشدة ظهوره، وسطوة إشراق نوره والأشياء إنما تعرف بأضدادها، فما كان ولاشيء غيره لا يُستدل عليه بعنايته وتوفيقه، ولا يعرف إلا بكنه ذاته وتعريفه.

وصح عن رسول الله ﷺ: «**إن من العلم علمًا كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغرة بالله**»[(١)]، جعلنا الله وإياكم ممن درج على الوفاء، وقام بتحقق الصفاء بحقائق الأسرار واحترز عن مهالك الجحود والإنكار بفضله وكرمه إنه قريب مجيب الدعاء[(٢)].

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس (١/ ٢١٠) عن أبي هريرة ﷺ وهو من العلم الذي يكون تحت النطق والبيان فما ظنك بما عندهم مما هو خارج عن حكم الدخول تحت النطق والبيان، فما كل علمٍ يدخل تحت السيارة وهو علوم الأذواق كلها، فإذا رأيت فيك شعرة من قابلية قبول كلامهم، فأبشر فإنك سعيد فإنهم قومٌ لا يشقى جليسهم فكيف من يجد في نفسه رائحة ذوقهم وبارقة فهم كلامه؟! وما ذلك إلا لمناسبة موجودة، وأنت ما تدري كما قيل أن المناسبة علة الضم.

قال الشيخ الإمام خواجة عبد الله الأنصاري قُدِّس سرُّه: إن أول علامة القبول قبول كلامهم وعدم الإنكار عليهم. وقال ﷺ في «الفتوحات»: إذا حسن عندك كلامهم وقبلته، وآمنت به فأبشر فإنك على كشف منه ضرورة، وأنت لا تدري لا سبيل إلا هذا؛ إذ لا يثلج الصدور إلا بما يقطع بصحته وليس للعقل هنا مدخل؛ لأنه ليس من دركه إلا إن أتي بذلك معصوم حينئذٍ يثلج صدر العاقل، وأمَّا المعصوم فلا يلتذ بكلامه إلا صاحب ذوق.

(٢) قال سيدي محمد وفا في الشعيرة (٦٧) بتحقيقنا، ما نصه: من صار علمه معلومه، وفعله مفعوله، استغنى بخُبره عن خَبره، وبعينه عن أثره، ومن توهم الخبر توقف وانحصر على ما وجد من الأثر، ومن أطلق النظر خرج عن ضيق الفكر، ومن قيد انحصر في مباني الصور، فمن سلك في سقر، وحلل عقود التسعة عشر، عند تلويح البشر، تحقق عند زوال السراب، وانقشاع هذا السحاب، بحقيقة: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى:٥١]. فيا أرباب الألباب، ويا ألباب الأرباب، كيف عميتم في الصواب عن طرق الصواب، وعلمتم سر الخطاب، وجهلتم رد الجواب، فلو =

واعلم حقَّق الله سرك بحقائق الوصال، وجعلك من الذَّائقين شراب أُنسه بالغدو والآصال أن النقطة سر الهُوية الغيبية[١] المطلقة في عالم الرقم، وهي هيئة جمعية أحدية بمراتب

=

فرقتم الجمع، وجمعتم الفرق، وحققتم الباطل بالحق، وجتم في مواضع الإعجاز بنوادر الخرق، وجمعتم النقيض بسر التفويض، وأقمتم الخالق في مقام الخلق، واستخرجتم الوجود من باطن فناء الحق، ونصبتم الصراط المستقيم على جحيم الشيطان الرجيم، لشهدتم عند رفع الحجاب النقطة، كيف كيَّف الكاتب خطه، وقيَّد الواضع شرطه، فانظروا رحمكم الله بأبصارٍ قد عميت، واسمعوا بآذان قد صمت، سر هذا النبأ العظيم من يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، واعلموا أنه من مات عند السماع شهد عند رفع القناع الحي القيوم، في حجابي: الإبداع، والاختراع، وعرج في معارج الاطلاع إلى منتهى وُد وسُواع، حيث ينعقد الإجماع على حل عقد الأوضاع، في لوح الطباع، فمن فقد ما في عين الوجود وجد هذا المعنى المفقود، ومن خلف خلفه خلافه ظفر بسر الخلافة.

فيا علماء الرسوم، أين السر المكتوم في مقول الكتاب المكنون، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، وأنتم أيها العاملون الزاهدون، كيف شهدتم والله خلقكم وما تعملون، ويا أيها المريدون، أي شيء أنتم طالبون، والمطلوب لا تحصله الظنون، ولا تدركه العيون، وأنتم أيها العارفون، كيف توهمتم حصول السر المصون، وهي شيء لا كان ولا يكون وأنتم أيها المحققون كيف عميتم العيون عن السر المصون، وهو الذي لا يعلمه غيره، ولا يُعلم سواه، لقد حار الكل وتاه، وجهل العلم معناه حقيقة إيَّاه، ولقد أعجزت حيطة الوهم خارق الفهم، وأوقف جواد التصور أعمال صحة النظر عن نفود سدة الصور، ولقد أعجز البشر سر القدر، وجود بقاء البشر عند فناء وجود البشر، ما أعجب ما أغرب حديثًا أطرب إذا رغب، وأعرب إذ أعرب، وحقق إذ أفسق، وصدق إذ زندق، فادخلوا إلى خلاوي غيوبكم، وانظروا في طروس قلوبكم، واقرؤا على أرواحكم في ألواح أشباحكم علومًا لا تُعلم، وحقائقًا لا تُفهم، وأسرارًا لا تُفشى ولا تكتم، وذوات لا توجد ولا تعدم.

فيا أبكم لا تتكلم، ويا معرب معجم لا تتكتم، وسلِّم الأمر تسلم، ولا تتقدم تندم، وصلِّ اللهم وسلم على النبي المعلم، والسر المصون الحاكم المحكم، والإمام المقدم، وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) وهو السر المصون الذي يعبر به عن غيب هوية الذات الأقدس وإطلاقه فإن كنها الذات، وهو يجل أن يدخل تحت علم، أو أن يحاط به أو أن يدرك من حيث ذاته أصلاً، فهو السر المصون عن الإدراك والإحاطة. ثم اعلم ثانيًا أن أوَّل المراتب والاعتبارات العرفانية المحققة لغيب الهُويَّة هو الاعتبار المسقط لسائر الاعتبارات، وهو الإطلاق الصرف عن القيد والإطلاق، وعن الحصر في أمر من الأمور الثبوتية والسلبية كالأسماء والصفات، وكلما يتصور ويعقل ويفرض بأي وجه تعقل وتصور وفرض فهو غير ذلك، وليس لهذا المقام لسان فغاية التنبيه عليه هذا، وأمثاله هذا هو حقيقة الحق التي لا تدرك ولا تعلم ولا يحكم عليها، لا بسلب ولا بإيجاب، وتسمى هذه المرتبة مرتبة لا تعين، وإنما سموها بهذا الاسم لضرورة البيان والتواصل إلى الإفهام، وإلا فهي منـزَّهة عن الإحاطة علمًا وشهودًا ووجودًا سيَّما عن التسمية، وكيف لا والمسمى مدرك، وقد قررنا أنها ما تدرك، فإن قيل فكيف اتَّصل علمنا بهذا المشهد الأنـزه الغريب والمقام الأنوه العجيب.

مخارج الرقمية ومدراج أشكالها وهيأتها الحسية، مدمجة في خصوصياتها محتجبة بصورها وأعيانها، ونسبة صورتها إلى مدرج الحروف والكلمات نسبة التعيين الأول من المتعين إلى مراتب أعيان الموجودات، والتعين الأول أمر اعتباري لا تتحقق له إلا بالمتعين، كما لا يتحقق ظهور المتعين إلا بالمتعين، هي امتداد النفس في درجات المخارج الإنسانية وأول تعينها إشارة إلى التجليات الإيجادية في امتداد نفس الرحمانية لإظهار الحقائق الكونية في برزات الظهور والإظهار، وإما كون الألف صورة جمعية إلا لنطقة، والمتعينة عنها وهي غير المتعينة غير المتعينة فيه، كما هي لم يظهر لها اسم؛ لأنها عين الكل والكل من كونه لا تعين له، فمن هذا الوجه كان قيام الحقيقة الألفية بها، فالنقطة قيوم لها من اندماجها فيها واحتجابها كما هي قيوم الحروف كلها مع إندراجها في مدارج مخارجها واختفائها بصورها، فإشارة إلى شمول سريان نفس الرحمانية في حقائق أفراد الكائنات، وخصائص أشخاص الممكنات فيصيرونها عين الكل مع اخفتائها في ما هياتها واحتجّابها بخصوصياتها، وكما أن النقطة هي عين الحقيقة الألفية، وكذلك الألف هو عين التعينات للحروف الظاهرة من الامتدادت النفسية والإنسانية والحروف لا يجدونها مع أنها معها حيث ما كانت، كذلك الحقيقة هي عين التعين الأول الذي هو مبدأ النفس الرحمانية، والنفس عين حقائق الرقوم الكونية كلها علويها وسفليها، وهم لا يجدونه ولا يدركون كنه حقيقته وهو معهم أينما كانوا بل أقرب إليهم منهم؛ ولكن لا يبصرون، وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ بقوله: «**إن الملأ ليطلبونه كما تطلبونه أنتم**»[1] وكما أن النقطة مادة للصورة الألفية، والحقيقة الألفية هيولي[2] لصور الحروف اللفظية

---

(١) ذكره الشيخ في «الفتوحات المكية» (١/ ٧٢).

(٢) قال القاشاني ﷺ: الهيولى عند الطائفة اسم للشيء باعتبار نسبته إلى ما هو ظاهر فيه، بحيث يكون كل باطن هيولى الظاهر، الذي هو صورة فيه، ثم إنه لما كانت الصورة الجسمية هي أظهر الصور للمدارك صارت الهيولى إنما تطلق في الأكثر، ويراد بها محل الصورة الجسمية.

هيولى الهيولات: يشير به المحققون إلى حقيقة الحقائق، لأنه لما كان المراد بحقيقة الحقائق ما عرفته في بابها من أن المراد بها باطن كل حقيقة إلهية وكونية صارت حقيقة الحقائق هي هيولى الهيولات، ولأجل بطونها في كل باطن وبطون كانت هي هيولى الكل، والهوية الكبرى الجامعة لكل شيء.

هيولى الكل: هي حقيقة الحقائق كما عرفت.

الهيولى الخامسة: يشير بها المحققون إلى حقيقة الحقائق المسماة بهيولى الكل، وهيولى الهيولات، سميت بالخامسة باعتبار أن الجسم الذي هو أقصى مراتب الظهور صورة في النفس، والنفس صورة في العقل، والعقل صورة في العلم، والعلم ظهرت من باطن الوحدة فهي الهيولى الخامسة لأجل ذلك.

والخطية حقائق الحروف تعيناتها النفسية في المراتب المخرجية كذلك، كذلك الهُوية الغيبية إنما هي هيولي لنفس الرحمانية، والنفس هيولي لصور الكلمات الأكوانية، وصور الموجودات الكونية وتنوعات تجلياتها وتمثلات تصرفاتها وقابليات آثارها.

واعلم أن حقيقة النقطة باعتبار اختفائها بالصورة الألفية وظهورها بها وكذلك اختفاء الصورة الألفية بصور الحروف الرقمية وظهورها بها في درجات مخارج الحروف بواسطة إمتداد النفس الإنساني، وظهورات أعيان الحروف بها ثلاثة مراتب أحديتها قبل الامتداد وهي المرتبة الإجمالية الاتحادية، وهي رتبة استهلاك تعيناتها فيها استهلاكًا لا يظهر أعيانها ولا يميز خصوصياتها ولا يمكن شهودها عن طلاسم ورسم ودخولها تحت عبارة، وإشارة وعدم انحصارها في إحاطة كل علم وتجردها عن كل نعت وإطلاقها عن كل حكم، فليس له جلت عظمتها بهذا الاعتبار رسم دل عليه دلالة مطابقة للحقيقة المجردة عن التقيد والإطلاق من الكلمات المركبة ولا من الحروف البسيطة[1].

---

(١) قال سيدي علي وفا ﷺ: نقطة الحرف المنقوط منه بمنزلة الصورة الكونية الجسمانية من النفس المفارقة المتعلقة بها، لا هي داخلة في جوهر الحرف، ولا هي خارجة عن صورته المحسوسة؛ لأنه لا يتم ظهوره بأنه الحرف الفلاني إلا بنقطة، لكن إذا كان لجوهر ذلك الحرف مع مرتبته التعقلية مرتبة هو فيها مستغنٍ عن النقطة، ثم تجرَّد عن نقطته انتقل إلى مرتبته المجردة، وإن تم، وإلا تناسخ، أو حصل في ظلمة الإبهام والنفي الأول، كالغين والعين ذات واحدة هي بعينيتها مجردة غنية في قيامها عن النقطة، حال ما هي مقيدة بغينيتها، محتاجة إلى النقطة، فإذا تجرَّدت عن غينيتها بالتجرد عن غينيتها بالتجرد عن نقطتها رجعت عينًا فقط. والثاني كالباء متى زالت نقطتها تناسخت في التركيب بين النون والياء والتاء والثاء؛ لتشابه الصورة بلا نقطة، وإلا تلاشت بإسقاط تعيين ما هي، وبذلك فُضِّل العالم على الجاهل، والعامل على الغافل، ومن أحبَّ قومًا فهو منهم.

اسمع: قال قائلٌ: «أنا نقطة الباء»، ولهذا حقيقة سيادية بالنسبة إلى المراتب الإرادية، وأدب إرادي مع المرتبة المرادية، أما الأولى فكأنه قال: من لم يتعيَّن بي تلاشى وانبهم، وأما الثانية فكأنه قال: مرتبتي التي ليس لي تعيُّن بسواها أن أكون تحتًا وعبدًا. وقال قائلٌ: أنا خفضة الباء؛ لأن محلها أن تكون تحت النقطة؛ إذ النقطة في الظاهر المرتبي، كالجزء من الحرف المنقوط، والشكلة ليست كذلك، فلا تفصل بين النقطة وبين ما هي منه، فكأن هذا قال باللسان الأول: بي يُعرف ما وضعت لأجله؛ لأن بالحركة تعرف ما وضع اللفظ له، كما تقول: (البرام) هو بكسر الباء جمع برمة، بمعنى قدر، وبضمها هو القراد، فلا يتبيَّن ما وُضع له إلا بالحركة، والبراق بكسر الباء جمع برقة، وبضمها جواد المعراج، والبتع بفتح الباء: طول

المرتبة الثانية: ابتداء النفس بإيجاد أعيان الحروف حال تعينتها في مخارجها وتنزلاتها في مدارجها ووجوعها إلى الباطن في مراجع معارجها وتعين عين الألفية في عين النفس، الممتد من حيث إمتدادها، واستزامها أعيان الحروف النسبية وحقائقها الإضافية ،إشارة إلى التعين الاعتباري الأولى الذي هو مبدأ الحضرة الواحدية وغيب الحضرات الجبروتية، ومصدر شئون التجليات الربانية واستلزام الربوبية المربوبات النسبية، والموجد الموجودات الإضافية وظهور الألوهية بإظهار المراتب والإمكانية في الإحكامية متجليًا بالموجودات والربوبية؛ لتحقق حروف الأعيان، وحقائق الإمكان في الغيبوب الجبروتية والتعينات اللاهوتية .

المرتبة الثالثة: تعين النقط الروحانية في امتداد النفس الرحمانية وعبورها على مدارج المخارج والتباسها بتنوعات صور الحروف اللفظية والخطية وتشكلها بأشكال حقائق الكلمات الرقمية، إشارة إلى عموم تجليات النفس الرحماني، وإثبات الفيض الوجودي وانبعاث نسيمات الجودي من غيب التعين النُّوري على قابليات مظاهر اسم الظاهر، فوجود الحقيقة الأحدية المطلقة في هذه المرتبة لاتصافه بالصفات الكمالية، وإضافة سريان آثاره إلى المحدثات المنكرة والمقيدات المتعددة، والتعينات المتجددة ظاهريًا نباتها، ومظهر لأوصافها ونعوتها متكثرة بتجلياته متعدد بظهور آياته في ماهياتها بحسبها لا بحسبه، وهو مع ذلك على إطلاقه الحقيقي تنزيهه القدسي لا تعدد في ذاته ولا تغير في صفاته، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وأما وقوع النقطة تحت باء البسملة واختفائها بالصور الحرفية واحتجابها بظواهر الأشكال الكلماتية، وبدو ذاته مراتب الحروف في الأدوار المخرجية والأدوار الرقيمة بتعين حقيقتها وتجدد تكرارها في درجات خصوصياتها، ومنازل ماهياتها وهي مع ذلك تختص في نزاهة وحدتها لم تتغير ولم تتبدل، فإشارة إلى استتار أحدية الهُوية في ملأ العلويات والسفليات، وتجلياته الوجودية التي بفيضانها أفراد مراتب الموجودات، فبحسب الاستعدادت والمتكثرة

=

العنق، وبكسرها: نبيذ العسل. (والبضع) بفتح الباء: القطع، وبضمها: النكاح، وبكسرها: ما لم يبلغ العقد من العدد.وباللسان الثاني كأنه قال: أنا تحت التحت، وعبد العبد، وإنما خص نقطة الباء وخفضتها بالذكر؛ لأن نقطة الباء هي النقطة المفردة اللازمة للتحتية، مما إذا زالت نقطته تلاشى، والخفضة موضع الكسر، وبذلك الكلمة جامعة بين المعنيين. انظر: [المسامع ص ٢٨٠ بتحقيقنا].

تكثرت تصاريف آياته، وسبب لقابليات المتعددة تعدادت أثار تجلياته، وهو تعالى في ذاته القديمة على نزاهة قدسه وحقيقة إطلاقه جل جناب عظمته عن شوائب الإمكان، وتغيرات تعينات الأعيان ،واما لسره بالبسملة، فمشيرة إلى أن النقطة هي مفتاح مفاتيح أعيان الكلمات الرقمية، وصور الحروف الخطية، ومن حقيقتها فتح أبواب تعيناتها في المشاهد الحسية ومراتب صورها في عالم الرقم، وبها ظهرت درجات أشكالها وأثار طبائعها وخواصها المشهودة المعهودة إشارة فتح أبواب العوالم الإمكانية بالتعين الأول الذي هو مفتاح مفاتيح الغيب، ورابطة تعلق القدرة بالمقدورات والعلم بالمعلومات انفتح أبواب الحضرات الجبروتية والحقائق الملكوتية وأفراد المراتب الحسية والصور الوجودية والتجليات، والتعينات الشهودية، وكما أن النقطة هي بداية صور الحروف الرقمية، وبها ينتهي حقائق وجوداتها ونهاية أشكالها، كذلك الأمر في أقطار عرضه الوجود وأطوار مجالى الشهود، ومنه بدأ الأمور، وإليه يعود كل ما هو مكشوف ومستور وهو جلت عظمته أولٌ في أخريته، آخرٌ في أوليته ظاهر في عين بطونه، وباطن في ظاهر ظهوره واليه يرجع الأمر كله .

واعلم: أن الله سبحانه أودع في النقطة سرًا بحكمته البالغة شمل بحقيقتها أصناف خواص الحروف والكلمات، وتجمع في ذاتها أنواع أسرار الرقوم والإشارات، وشرح دقائق ذلك لا ينحصر، وعجائب خواصها وتصاريفها لا ينضبط، فإنها هيولى الحروف والكلمات التي ينفذ البحر دون نقصانها، ومن أسرارها أنها قابلت بذاتها الموجودات كلها كلياتها وجزئيتها، وذلك بأن الموجودات باسمها مطابقة لحقائق الكلام فما من شيء في الوجود إلا وللكلام شرح في ماهيته وحقيقته وخواصه ومانفعه ومضاره، وكمية وكيفيته وعوارضه ولواحقه ولوازمه بحال متسع، ودقائق أصناف الكلام وحقائق أنواعها إنما تظهر من تركيب الحروف وتآليفها وظهور دقائق الحروف وارتسام لطائفها إنما يكون ببروز لطيفة النقطة وتعاقب حقائقها وتوالى صورها الإجمالية وتكرار ذاتها الأصلية بحركتها الدورية الرقمية، وهيولى لدقائق الرقوم القلمية بإيجاد صور الكلمات على مجالي وجود الصفحات، وظهور مدارج الحروف والكلمات من مخزن ذاتها كظهور مراتب الأعداد بتكرار الواحد في درجات المعدوادت وصبور أعيان مراتب الأعداد، فان الواحد ليس بعد الأعداد فإنك إذا حملت على مثله بواسطة الواو ظهر وجود الاثنين وعلى الاثنين ظهر وجود الثلاثة إلى ما لا يتناهي وإذا نقصته من الآلف زال عنه اسم الألفية فهو الأصل في الأعداد كما كانت النقطة أصلاً في

الحروف والكلمات، وكذلك حكم النقطة في المعدودات أيضًا، فإن حروف العين الذي هو عدد السبعين في الحسابيات الابجادية إذا وضعت فوقها صارت حرف الغين المعجمة المنقوطة المشيرة إلى الألف، وإذا أبعدت عنها زال عنها اسم الألفية، ونزلت إلى الدرجة السبعينية، فكانت النقطة من هذا الوجه أوسع مجالاً وأكثر تأثيرًا، وأعظم تصرفها، فانظر إلى خواص هاتين الحقيقتين عجائب تصاريفها في مراتب العالمين أحدهما عالم الرقوم والكلمات، والثاني عالم الأعداد والمعدودات وهما سرَّان من أسرار الله في الوجود اللذان لا ينكشف نقاب العز عن جمال أسرارهما إلا لاهل الكشف والشهود الذين طبت سرائرهم لروح لطائف الوجدان وعطرت ضمائرهم بشميم روائح العرفان.

واعلم أن تحويل النقطة من طلوعها من ذاتها وتمتد أحديتها إلى تفاصيل أعيان الحروف الرقمية وامتدادها في جداول تعينات أرقام الكلمات الحروف يشير إلى النفس الرحمانية من الحضرة المبدائية مطلع الهوية[1] الغيبية في مجاري التعيينات الأكوانية وسريان التجليات الموجودة مشرق المنية الموجودية في مجاري مراتب عالم الإمكان وتوجهها إلى قابليتها واستمددتها وصيروتها حقائق ذواتها وبروزها بنتائج آثارها ودقائق خصوصياتها وظهورها على مناظر مظاهرها واختفائها بتعينات صورها وتقييدات ماهيتها، كجريان الماء في منافذ أجزاء الأشجار وسريان الطبيعة المائية في مجاري أغصانها واورقها، وأزهارها وأثمارها والتباس حقيقتها بألوانها وروائحها وطعومها، كما قال المحقق ابن الفارض شعرًا[2]:

جَلَتْ في تَجَلّيها الوجودَ لِناظري ففي كُلّ مَرْئيٍ أراها برؤيَةِ

وأشهِدْت غَيبي إذ بدتْ فوجدتُني هُنَالِكَ إيّاها بجَلوَةِ خَلْوتي

ومن أسرار خواصها تجردها عن الجهات وتنزهها عن التعلق، فإن حقيقة النقطة

---

(١) قال القاشاني ﷺ: الهوية: الحقيقة في عالم الغيب، والهوية: الذات من حيث غيبها.

الهوية الكبرى: هي حقيقة الحقائق، وهي الهوية المحيطة بجميع الهويات، وهي هيولى الهيولات.

الهوية المحيطة: هي الهوية المحيطة بجميع الهويات، وهي حقيقة الحقائق التي عرفت بأنها باطن الوحدة التي لا يخرج شيء عن حيطتها.

الهُوَ: الغيب الذي لا يصح شهوده. ويطلق الهُوَ، ويشار به إلى الذات التي هي الكل في الكل.

(٢) البيتان في ديوانه (٢١٠، ٢١١).

وذواتها الشكل التي هي أفضل الأشكال وأبعدها عن التغيير والفساد، وليس لهذا الشكل من حيث شكله وحقيقته جهة أصلاً، فإن الجهات لا تثبت إلا بواسطة تفاصيل الأجزاء المختلفة، مثلاً: الإنسان له رأس ورجل ولا شك أن رأسه أشرف من رجله، فبهذا الاعتبار تكون الجهة التي تلي رأسه تسمى فوقًا، والتي تلي رجليه تحتًا، وله جانبان أحدهما أقوى من الآخر، فالجهة التي تلي جانبه الأقوى تسمى يمينًا والتي في مقابلتها تسمى شمالاً ويسارًا، أوله أيضًا جنانبان أحدهما يتحرك إليه بحركته الإرادية النقلية في فالجهة التي تلي هذا الجانب تسمى قدامًا وأمامًا، والتي في مقابلتها خلفًا ووراء، وليس في شكل الكرة هذه الصفات أصلاً، فلذلك لا يوصف بالجهات، وهذه إشارة التنزه للذات القديمة المقدسة عن الجهات، وتقدس الحضرة المتعالية عن شوائب أماكن السفليات والعلويات، وارتفاع مكانه وعلو مكانته عن تقيد، وامتناع تعريفه كنه ذاته بصنوف العبارات واختلاف اللغات، وتقرر إشراقات جلاله وسبحات أنوار جماله عن قصور الإشارات وتلاشي العقول والأفهام والرسوم والأوهام في أشعة تجليات عظمته وكبريائه وسواطع أنوار مجدها وسنائه، واستحالة تغيرات مرور الدهور والأعصار في قدم ذاته وانتفاء انحصار الحدود والأقطار عن تقديس صفاته.

واعلم أن النقطة الحسية وإن انتفت عنها الجهات من هذا الوجه، قد تثبت لها من وجه آخر، وهو كون النقطة كروية الشكل، وشكل الكرة إذا كان جسمًا كثيفًا محسوسًا لابد أن يشملها جهات العالم بوجودها البرزخية وهيأتها الحسية، وان لم يكن لها ذلك من حقيقة ذاته؛ ولكن قد يتغير الحدود والجهات في حقها بحسب حركاتها وقد لا يتغير الحدود والجهات، فإن الكرة إذا كانت ساكنة تكون أحد جوانبها المشرق، وفي مقابلتها المغرب وأحد جوانبها الشمال، وكذا السماء والأرض، فإن تحركت ودرات وانقلبت وانعكست الجوانب والجهات في حقها وصيرت بحركتها الشرق غربًا والتحت فوقها والجنوب شمالاً، وذلك لأن الجهات عارضة لها لا ذاتية، والعوارض لا يدوم حكمها، بل يقال العرض لا يبقى زماني، وكذلك الإنسان فإنه متى توجه نحو الشرق، وكان الجنوب على يمينه والشمال على يساره والمغرب وراءه، فإن وضع رأسه على الأرض واستقبل الغرب انعكست الجهات إلى جهات العالم وإلا لا يمكن أن ينعكس في حقه جهات نفسه التي هي الفوق والتحت، والوراء والقدام ،واليمين والشمال، كذا بأي حال [كانت الحضرة الذاتية] وقد تتغير الجهات أيضًا في حق شاهد النقطة والكرة في زمانين في حالة سكونها أو في زمان واحد وحالة واحده في حق

الشاهدين، وذلك في تفاوت أحوالها واختلاف منازلها في الشهود، فثبوت الحدود والجهات الحقيقية في النقطة والكرة من هذا الوجه، وتوجهاتها نحو جهات العالم إشارة إلى سريان تجليات الوجودية وإحاطة الحضرة العلمية الذاتية حقائق أفراد المراتب الإمكانية، وخصائص أشخاص العوالم الكائنية، وظهور أعيان الممكنات بلوامع أنوار هويته، وبروز ذات الكائنات بطوالع أسرار معينة واندارج تعينات نجوم الكثرة الأسمائية في سطوات أشعة أنوار الوحدة الذاتية، وانطماس تفرقات رسوم الغيرية الجلالية وانقلاب النقطة والكرة، وانعكاس في حقها على أصناف تغيراتها إشارة إلى اختلاف الأحكام الإلهية، وتغيرات الشئون الربانية والتباس أحكام الجمالية بصور المظاهر القهرية، وانعكاس حقائق الجلالية في مزايا شئون اللطيف، وتغيرات أحكام الصنعتين على أعيان المراتب الوجودية في المواطن الدنيوية والمنشاءات الأخروية.

إما بحسب مقتضيات الأزمنة والأمكنة.

وإما بتفاوت استعدادت الأشخاص والنفوس واختلاف قابلياتها وخصوصياتها [باحتفاظ] آثار الأحكام القهرية في مواطن العقبي، وبالعكس، وربَّ شخص يلي آثار الفيوضي الجمالية دنيا وآخرة، كالكمل من الأنبياء وأكابر الأولياء الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون، ورب شخص يعمه يلزم أثار الجلالية في المواطن كلها كالأرواح المكدرة والأشباح المدنسة والنفوس الخبيثة، والأبدان المظلمة من الأشقياء المحجوبين والكفرة المضلين، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وضاعت أعمارهم في طلب اللذات النفسانية والتمتعات الجسمانية، واغتروا بحصول الجواهر الغالية والزخارف الفانية، فعمتهم في هذه النشأة أمواج الهموم من حوادث الزمان بكثرة الفتن والبليات وغشيتهم طوفان المحن والإخوان بتجدد الآفاق والمصيبات، وفي المواطن الأخروي آلام النار، وفزع البوار، وتأسف الخسار وتجريح مرادات الفضيحية والعار، فيحصدون ما زرعوا ويجزون بما عملوا وما للظالمين من أنصار.

وأما اختلاف شهود الشاهد أو الشاهدين في حالة أو في حالتين كما مرَّ فإشارة إلى تفاوت أقدام السالكين إلى الله، واختلاف درجات السائرين في الله وتنوع مقامات أهل الوجدان، وتقلب أسرار أهل الكشف والشهود في أطوار مراتب العرفان، فلا يتفق قدم

السالكين في مقام أبدًا بل لا يثبت في مقام قدم السالك الصادق المتفطن في زمانين أصلاً، كما قال المحقق أبو طالب المكي: لايتجلى الله في صورة مرتين، ولا يتجلى في صورة لاثنين، فإن الحضرة غير محدودة، والعطايا غير متناهية، والمواهب غير محصورة، وفيوض التجليات غير منقطعة، وانفتاح الاستعدادت من خزائن الغيب المجهول بالفيض الأقدس متابينة، وقابليات مظاهر التجليات الوجودية متقابلة، بل خصوصيات الأنفاس بحسب تأثيراته تجدد الأزمنة، وخواص تبدل الأمكنة متفاوته تفاوتًا غير متناهية، والى هذا السر أشار إليه رسول الله ﷺ لقوله: «إنه ليُغَان على قلبي، فأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»[1].

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٧٥). وقال سيدي محمد وفا في المعاريج: فنظر في استغفاره ﷺ كثيرٌ من العلماء، واختلفت أقوالهم في معنى ذلك اختلافًا كثيرًا إلى أن قرب اختلافهم إلى سبعين قولاً، على ما نقله بعض الرجال العلماء الراشدين من أئمة الطريق إلى الله تبارك وتعالى، وعلماء الحديث عن رسول ﷺ، ليس من قبيل الظلمة والغشاء على القلب، فإن الغشاء الوارد على القلب والتغطية إنما يرد على الكفار، فلطيفه غشاء، وكثيفه ران، وهو تراكم الغشاء وتزايد الظلمة، فإذا تكاثف الحجاب الظلمي على القلب وطمسته الظلمة طبع على القلب، وحرم النور الإسلامي، فإن لطف الحجاب وخفَّت الظلمة، وفُتح باب البارق النوراني، ظهر لامع النور الإسلامي، ولم يبلغ الفتح باب القلب النوراني الإيماني، فإن لطف كثيف الغطاء القلبي والغشاء الحجابي ظهرت أنوار الإيمان دون لطائف حقائق أنوار الإحسان، وكلما كشف غطاء من الأغطية البطانية، والعوالم النورانية، والحقائق الروحانية، كشف الحقائق السمائية أنوار اللطائف العبدانية لبلوغ الارتقاءات العلائية للوجهة الصمدانية.

فالران: اشتداد الظلمة، والغان ضده في اشتداد النور.

فالغان: حقيقة سلطان النور الإلهي المنفهق عن القلب المحمدي، فلعظم انفهاقه واصطلامه يستلب القلب سلطان التوحيد، وعظمة الألوهية، وكبرياء الجلال، فتطالبه الحقيقة المحمدية بالرجوع للأمة، وإبلاغ الرسالة، والقيام بالأمر الربَّاني، والتنزيل لعمارة العوالم، والإفاضة على أرباب الأطوار، والرجوع إلى التحقق بالذل والانكسار، والمسكنة والافتقار، والقيام حيث أقامته الحقيقة الربَّانية، وجمعته اللطيفة الإنسانية، فيستغفر الله تبارك وتعالى امتثالاً لأمره العلي، ويرتقي إليه لمحضر بهي سني، ويسأله الوسيله التي ابتغاها، والدرجة الرفيعة التي نالها وارتقاها، فللأطوار السبعة المحمدية ارتقاءات أمدية وسرمدية وأبدية وأزلية، لكل طورٍ منها عشر مقامات تبلغ إلى أعلى العلاءات، وأقصى النهايات، وهو عارج فيها على مدى الأوقات، فهي سبعون مقامًا محمدية اصطفائية أحمدية اختصاصية عبدانية رسالية صالحية إيمانية إسلامية، مناهج السالكين من الأمة المحمدية، فاستغفاره لله تعالى استنزالاً للرحمة الرحمانية، والرُّتبة الغفرانية، ولقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠].

فالمغفرة بتقدم الرحمة، فبالغفران يستوي المحل لقبول الفيض الرحماني، والنفخ الربَّاني، فالغفر ستر نوراني على الحقيقة البشرية، وستر ضيائي على الطور النفساني، وستر رحماني على الحقيقة القلبية المحمدية، فإن

=

وفي رواية: «مائة مرة».

وأما أقسام الحركات والنقطة التي تحدث لها بواسطة الحقيقة المحركة لها فخمسة:

=

الحقيقة الخلقية والصفة البشرية لا تطيق قبول تلقي انفهاق الأنوار الضيائية، وظهور سلطان الأضواء الشمسية، فضلاً عن انفهاق الأنوار الربَّانية، فيسأل الغفر لستر انفهاق النور الإلهي؛ ليثبت قلبه لقبول ما يرد عليه من أمر ربه، ولقد كان أحيانًا يقول: «يا مثبت القلوب ثبِّت قلبي على دينك».

وقيل: «قلب نبيك». وذلك سؤال اللطف في قبول الوارد عليه ﷺ، فإن الغفر من قبيل الستر، لا مأخوذ من المغفر، والمغفر هو المتخذ لستر وجوه الإعراب، وأما كونه نورانيًا فإن حجاب النور ساتر للظلمة، وحجاب الظلمة ساتر للنور، فيظهور هذا بطون هذا، فهو ولوج نور في ظلمة، وظلمة في نور. قال الله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج:٦١]. فبتنزل النور ترى المبصرات المفترقات، وانفهاقه وظهور سلطانه يبهر الأبصار والبصائر، فيعود الكون كالعمى لا يشهد فيه شيئًا من المخلوقات جملةً ولا تفصيلاً، فيراعي ﷺ من فهم: فقراء إلى الله أغنياء بالله، أذلة على الله، أعزة على من سوى الله، آخذون من الله، مؤثرون في استغفاره حق الله في القيام بأوامره، وحقه تعالى في القيام بدوام الحضور معه ومشاهدته، وسماع كلامه ومجالسته ومناجاته ومخاطبته، فاستغفاره استدراك للتوبة عن ملاحظة السوى، وسؤال للثبوت في الحضور، فهو في سؤاله داع، وفي دعائه مضطر إلى الله، والله تبارك وتعالى مجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فأجيبت دعوته ﷺ، وظهر أثر الإجابة حيث خُوطب في مقام الحضرة الإلهية، فقيل لَه: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

فثبت لرد الجواب عن الخطاب، وأجاب وأجاب بأفصح الجواب: وقال: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين». فشمل أمته في جوابه عن السلام عليه بالسلام عليه وعلى عباد الله الصالحين، وذلك التثبيت في مقام الحضرة الإلهية، والمخاطبة الربَّانية، وتلك درجة علية، ورُتبة سنية، لم يبلغها أحدٌ من البرية سواه ﷺ.

وأما «استغفاره في كل يوم سبعين مرة» فذلك الاستغفار عائدٌ على أمته، فإنه ﷺ لم يتعلَّق بنيل كرامة من الكرامات الربَّانية، والإفاضات الروحانية، والمقامات الإحسانية، والإضاءات النورانية، أفاضها على ذوي الفقر والمسكنة من أمته السالكين محجته، الناهجين بسبيل شريعته، وهم المقتفون آثار أقدامه، وتنقل خطواته، المنسوبون إلى إخوته، الوارثون سني شرف شرعته وعلومه، وطرق محبته، المؤثرون ذلك على أهليهم وأنفسهم وأموالهم والناس أجمعين، رضوان الله عليهم أجمعين، فهم المتحققون بالفقر الميراثي المحمدي الذي افتخر به ﷺ، فهم فقراء إلى الله، أغنياء بالله، أذلة على الله، أعزة على من سوى الله، آخذون من الله، مؤثرون عباد الله بما آتاهم الله: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران:١٧٠].

فهذه لطيفة من بعض أوصاف العارفين، وصفة من صفات المحبين الوارثين لرسول الله رب العالمين، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إما حركة دروية وهي أول الحركات بها لمقتضى حقيقتها.

وإما صاعدة إلى الفوق.

وإما نازلة إلى التحت.

وإما ممتدة إلى القدام.

وإما راجعة إلى الوراء .

واعلم: أن الحركة على ستة أوجه:

الكون والفساد ، والزيادة والنقصان، والتغير والنقلة.

والحركة النقلية على ثلاثة أوجه:

الطبيعية والإرادية والقسرية، وليس للنقطة الحسية الحركة الطبيعة والإرادية، والنقطة ذات جهات متماثله متشابهة ولا يمكنها أن تتحرك إلى جميع الجهات دفعة واحدة، وليس حركتها إلى جهة أولى من جهة أخرى، فالسكون إذًا أولى بها إلى أن يتحرك حركة قسرته بواسطة حقيقة محركة لها، فمتى تحركت بسب فأولى الحركات الحركة الدورية، وأقل دورتها في حركتها إنما يتم بسبع نقاط، ست متعاقبات متواليات على محيط الدائرة، وواحدة في المركز، فالنقطة المركزية إشارة إلى الأحدية المطلقة، وحقيقة الهوية الغيبية وانفصال المظاهر الأسمائية، وتنـزلات الفيوض الإيجادية عن حقيقة اللاهوتية، وتنزه جناب العزة اللاهوتية عن لوث الرزائل الناسوتية والسنة المحيطة إشارة إلى الإحاطة العلمية، وشمول سريان التجليات الوجودية مجامع غايات الابنيات الغيبية شيء يقابلها تقدست وتعالت عن ذلك، فذلك ليس في مقابلة الجنة المضاف إليها جحيم؛ لأنها عين الوجود، وليس في مقابلة الوجود إلا العدم من شيء، حتى تقابل الوجود.

وأصل هذه الجنة، هم أهل الفناء في الله من خواص الأنبياء وأكابر الأولياء الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون لأنه انعدام في مناظر رياض درجاتهم ما يخاف ألمه ويحزن على فوته.

اعـــلم: أن حركة النقطة قسمان: حركة على الاستدارة، وحركة على الاستقامة.

فالحركة التي على الاستقامة إلى أي جهة كانت من الجهات الأربع لا تتم إلا بثلاث نقاط متعاقبات غير النقطة الأصلية المركزية، واختيار أهل الكشف هذا العدد لأمرين:

أحدهما: أن الأربعة أصل في البسائط العددية في التركيب، والأعداد إلى ما لا يتناهى، وذلك أن بسائط العدد، وهو من الواحد إلى العشرة، ويتضمنها غير الأربعة، فحقيقتها أربعة، وفيها ثلاثة، فكانت سبعة، وفيها اثنان، فكانت تسعة وفيها واحد، فصارت عشرة كاملة، ولحكمة هذا السر انتظمت أمور المكونات على الأعداد الرباعية، فحملة العرش أربعة، ونظام العالم قام على أربعة عناصر.

والعالم الإنساني على أربع طبائع. وكذلك الرياح الملقحات المبشرات أربع الصبا والدبور، والشمال والجنوب، وجهات العالم أربع: المشرق والمغرب والشمال والجنوب.

وكذا الأوتاد أربعة، وهي الطالع والغارب، ووسط السماء ووسط الأرض.

وكذا الأزمنة في الفصول أربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء، وكذا أطوار العمر الإنساني أربعة: طور الصبا وطور الشباب وطور الكهالة وطور الشيخوخة.

وأما الأمر الآخر الذي اختص به هذا العدد، هو أن الجهات التي يدخل منها على المملكة الإنسانية من إضلال الوسواس الشيطانية المورث للآلام والعقوبات الجِرمانية أربع: اليمين والشمال والقدام والوراء، كما قال جلت عظمته حكاية عن الطريد اللعين: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ ولم يذكر الفوق والتحت. أما التَّحت فلأن طريقها يصعب عليه لغاية بعدها عن الصدر الذي هو محل الوسوسة. وأما الفوق فهو طريق نزول القضاء ومحل تنزيل الفيض الرباني، ولا يستطيع أن يقرب فإنه إن قرب هلك، فهذه الأمور الرباعيات تسبح بألسنة أحوالها، وتشهد بألحان حقائقها وخصوصياتها على جلالة شأن ربها، وكمال آثار ربوبية أربابها عن الأسماء الأربعة الإلهية التي وسعت بحار سلطانها وكمال نفاذ أحكامها، وهي الأسماء الأربعة بجلالتها التي هي أركان التصرفات الإيجادية، وأصول مصادر التدبرات الكونية، وقواعد أصول كرسي المملكة الفردانية وهي: الحي، والعالم، والمريد، والقادر، فمن يتنع عين حياة الحي بفيض زلال الحياة الصورية والمعنوية على أموات مصارع الأكوان وعطاش فيافي الإمكان.

ومن طوالع أنوار علم العليم، السالكون في مفاوز الضلالات في بوادي الجهالات.

ومن انصباب أمطار سحائب إرداة المريد يرتوي برياض حدائق الوجود ويتطهر عن أدناس الورى نفوس أهل الشهوة، وبالاغتراف من رشحات أمواج بحار قدرة القادر، وامتلأت وجرت جداول المقدورات وبمقاليده انفتحت خزائن جواهر العلويات والسفليات، فأول المظاهر الكلية الإجمالية لهذه الأسماء الأربعة - تباركت وتعاليت- هم

الملائكة الأربعة المقربون القائمون بالتدبرات الربانية للمربوب، وبهم أسباب صلاح العوالم الإمكانية، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل -صلاة الله وسلامه عليهم- فإسرافيل: مظهر اسم الحي بالحقائق الوجودية، أمكن حصر كلياتها في عالم الغيب والشهادة والعلوية والسفلية لانقسام الكل، فما علا عن درك الحواس وغاب عنها وما دخل تحت إدراكها وشهدها، فالغيبية ثلاثة أقسام، والحاضرة قسمان. فالعوالم الكلية والحضرات الوجودية خمسة، وهي التي تسمى عند أهل الكشف والشهود بالحضرات الخمس.

فأول العوالم: هوية الغيب المطلق لاشتماله على غيوب ما في العوالم، وتسمى أيضًا بالماهيات الممكنة، وحقيقة الحقائق، والأحدية المطلقة، ثم عالم الجبروت، ثم عالم الملكوت، ثم عالم الإنسان.

والتنزلات أربعة: فالأولى: النقطة الامتدادية المتدلية، إشارة إلى التنزل الأول وهو تنزله تعالى من الحضرة الأحدية إلى الحضرة الواحدية، وظهوره في عالم الجبروت بصور العقول والنفوس المجردة، وحضرات الصفات السبع الذاتية والأسماء الإلهية.

والثانية: إشارة إلى تنزله من هذه الحضرة إلى عالم الملكوت المسمى بعالم الأمر، واللوح المحفوظ وظهوره في الأطوار الملكوتية بصور النفوس المنطبق والهيولي والكلية والحقائق الروحانية.

والثالثة: إشارة إلى تنزله منها إلى عالم الملك المسمى بعالم الحس والشهادة وظهوره في هذا العالم بصور من الأجرام السماوية والأمهات من البسائط العنصرية والمولدات المعدنية والنباتية والحيوانية، والرابعة التي هي نهاية امتدادها الإشارة إلى تنزل الفيض الأقدس إلى عالم الناسوتية، وظهوره في المظاهر الكمالية الإنسانية، بصور الحقائق الوجودية وعكوس الأسماء الإلهية والصفات الربانية كالحياة والعلم والإرادة والقدرة، والسمع والبصر والكلام، فهذا آخر التنزلات الوجودية، ونهايات الظهورات الإلهية، ثم أخذ في الترقي إلى ما تنزل منه في هذه المراتب الوجودية متدرجًا في درجاته سالكًا في مناهج أصوله وفروعه إلى أن يرجع ويصل إلى المبداء الأول الذي منه بدأوا واليه يرجع الأمر كله.

وأما حركتها الامتدادية في العرض، فإشارة إلى انتشار أنوار التجليات الوجودية، وانثبات آثار النفحات الربانية في حقائق الأعيان الشهودية ونقطاتها الأربع إشارة إلى أن ثبوت الأعيان الثبوتية والمجردات الجبروتية والروحانيات الملكوتية والجسمانية الشهادية من حضرة الهوية الغيبية عرضيته متساوية في قبول الأفياض الوجودية من الحضرات الموجدية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ فنسبة الكلمات الوجودية إلى الموجود في الخلق كنسبة الكلمات الكتائب إلى الكاتب، فإذا اعتبرت مراتب الكائنات في حال انتفاضة الفيض التكويني من حضرة الكون كانت متساوية

في القرب والبعد والتقديم والتأخير، وإذا نسبتها إلى ظهوراتها في الأزمنة المختلفة كانت بعضها أقدم من بعض، وعند المحقق اختلاف الظهورات الزمانية لا يقدح في رتبة المساواة في استفاضة أنوار الوجود من نفحات الرحمانية وصاحب هذه الشهود يجول سير سره في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وآفات رؤية الأفعال المنسوبة إلى غير الفاعل الحقيقي. وتثير النقطات الأربع إلى هذه الحركة أيضًا إلى الأقلام الأربعة الطبيعية والنونات العنصرية والأقلام الأربعة هم الذين يكتبون الكلمات الوجودية على صفحات وجود القابليات على الداوم، وهم ملائكة المسخرون إلى أسباب قيام الأرضين الحاملون أثقال التدبيرات الكونية لحفظ نظام مراتب الحسية.

وأما حركتها المبدأة الراجعة إلى الوراء، فإشارة إلى رجوع آثار التجليات التقيدية إلى إطلاقهاتها الأولية بعد تقيده بخصوصيات القوابل ورجوعها بالعروج من مظاهر السفليات الظاهرة إلى باطن غيوب العلويات، ومنها إلى غيب الأحدية.

وحقيقة الهُوية المطلقة والنقاط الثلاث الزائدة على النقطة الأصلية، إشارة إلى رجوع المعارج لأن رجوع الحقائق الكونية إما إرادية وإما طبيعية، وإما برزخية اضطرارية، فالأول للسالكين، والثاني للغافلين المحجوبين بمفارقة الجوهر اللطيف الروحاني عن الجوهر الكثيف الجسماني، والثالث مشترك فيه الخواص والعوام بالنوم وركوع الحواس.

وأما النقطات الأربع: فإشارة إلى النشاءات الأربع للسالكين في القيامات الأربع، فإن مراتب الحياة عند أهل الكشف أربع: وهي الصورية والمعنوية والطبيعية والحقيقية.

وفي مقابلتها مراتب الموت. **وأنواع القيامات** أيضًا أربعة: الصغرى والوسطى والعظمى والكبرى. فالخارج من مضيق قبور الرحم وظلمات النازلة في مواقف حوادث العالم الحسي من أهل الحياة الصورية في القيامة الصغرى، ويسمى طوره عند القوم يوم النشور، والقاطع مقاطع اللذات البهيمية في عالم الحس والمحسوس، والبالغ حد عالم العقل والمعقول للميزانين: الحق والباطل من أهل الحياة المعنوية في القيامة الوسطى، وسمي طوره يوم الفصل، والسالك مسالك العرفان، الواجد روائح عالم العيان، المهذب بأنوار السكينة في الاطمئنان من أهل الحياة الطيبة في القيامة العظمى وسمي طوره: يوم الجمع، والسائر المجذوب المرتقي من درجات الفناء والجمع، والواصل إلى روح عالم البقاء والتمكين من أهل الحياة الحقيقة في القيامة الكبرى ويسمى طوره: ﴿تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ وهذه غاية طيران السائرين ونهاية درجات كمال العارفين المحققين، وبها يُختم «**الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية المشيرة إلى أسرار الهُوية الغيبية**». والحمد لله والسلام على من اتبع الهدى.

تمت الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله على كل حال آمين

كشف الغمة النفسانية
في معرفة
الصورة الإنسانية

تصنيف

أبي عبد الله شمس الدين محمد بن منصور المقدسي

[من علماء القرن الثامن الهجري]

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

ترجمة المصنف

هو الشيخ العلامة الصوفي المحقق: شمس الدين محمد بن منصور المقدسي.

قلت: لم نقف له على ذكر سوى ما وجد بالمخطوط، وإيضاح المكنون، وإشارة السخاوي له في «الضوء اللامع» إثر ترجمته لمحمد بن حسن بن سعد بن محمد بن يوسف بن حسن ناصر الدين أبو محمد بن البدر بن سعد الدين بن الشمس القرشي الزبيري القاهري الشافعي، مات ﷺ مطعونًا في منزله سنة ٨٤١ هـ.

فقال السخاوي عن المترجم: ولبس الخرقة الصوفية من الشمس أبي عبد الله محمد بن منصور المقدسي.

وانظر: إيضاح المكنون (٢/ ٣٦٣)، والضوء اللامع (٤/ ٨).



بسم الله الرحمن الرحيم

أول ما أفتتح به بعد حمد من بهر الأبصار نور ظهوره وسلب العقول عند تجليه وسفوره، الظاهر الذي ملاء الأفاق تجليًا من غير رفع نقاب، والباطن الذي حير في معرفة الأفكار من غير استتار بحجاب، بل حجب الأغيار عن معرفته وصرفهم عن قرع باب محبته، وتجلي على قلوب أهل صفوته، فشهدوا أنه أس الأسس، ومبدع العقول، ومفيض النفوس، والموجود مع كل معقول ومحسوس، والصلاة على أعظم مبدعاته، وأكرم مخترعاته، محمد وصحبه وعترته والتابعين بإحسان من أمته بسط الثناء على مناقب المولى، فلان الدين لازال رقيًا مراتب الأولياء، جالسًا مجالس الأصفياء، حتى يبلغ نهاية الكمال الإنساني، ويعطي الاستعداد لقبول الإلقاء الرحماني، فقد كنت ذاكرته فوجدت عنده من الشوق إلى معرفة الحق وأهله ما ألزمني إن كتبت له هذه الزجاجة لتزيده شوقًا إلى شوقه وليهدي الله بها من يشاء من خلقه، وسميتها: **«كشف الغمة النفسانية في معرفة الصورة الإنسانية»**.

وفصلتها فصولاً:

الفصل الأول

أيها الأخ الكريم الممنوح بلطائف التكريم، الممدوح بمحاسن التعظيم أعرني سمع قواك الباطنة والظاهرة بعد قطعها عن العلائق والعوائق، فإني مذكرك في هذه الرسالة بما يلقيه الحق تعالى، وتقدس من أسرار حكمته، وما بفتحه من خزائن رحمته، بإشارة لطيفة تغنيك عن طويل العبارة، فخير الكلام ، ما دل على معنى عزيز في لفظ وجيز، ولا خير في تركيب الألفاظ المختلفة الدالة على معانٍ غير مؤلفه، فإن وجود الحق في كشفٍ محققٍ وشهود مطلق من طريق مشرف ليس كمعرفته من وراء حجب البراهين والأقيسة بالحجج والأدلة، وإن كان كل سالك إلى الحق ظاهرًا بما تعرف الحق إليه من ذلك الجهة؛ ولكن فرق بين من ينادى من مكان قريب وبين من ينادى من كان بعيد.

واعلم أن أهل السلوك إلى حضرة الواحد الحق على أقسام:

- فمنهم صاحب شمس.
- ومنهم صاحب بدر.

- ومنهم صاحب هلال.

- ومنهم صاحب كوكب.

- ومنهم صاحب سراج.

وطريقهم ومنهجهم واحد، وإنما اختلافهم بحسب الأضواء، فلو رأى صاحب الكوكب في طريقه شيئًا من الآثار الخفية واللطائف السنية، فحدث أصحابه، كذبه صاحب السراج، وصدقه صاحب البدر، وصاحب الشمس، وذلك لقوة أنوارهم، وهذا الاعتبار جارٍ في أصحابه الأضواء بقدر قوتها وضعفها، وأصحاب الطرق بحسب قربها وبعدها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.



الفصل الثاني

اعلم أرشدك الله أن الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي المختصر من اللوح المحفوظ الذي فيه تفصيل كل شيء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١](١) وهي الإمام المبين الجامع بين أعلى عليين وأسفل سافلين(٢).

---

(١) ومنها (الاسم الباطن) وهو الغيب، ولهذا: أي لأجل عزة المرتبة بِحُجب السلطان؛ لأن المرتبة أمرٌ اعتباريٌّ لا عين لها في الخارج، فهو مستور عن أعين الشهادة لعزة المنصب بالمشاكلة.

وعلمه ما لم يعلم من علوم التأثيرات التي تكون من الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها، وله الأثر الكامل في جميع الكائنات، وله المشيئة التامة في جميع الموجودات؛ فإنه إقامة الظاهر بالاسم الظاهر، وإعطاؤه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص والتأثيرات التي تكون عنها الانفعالات، فيتصرف بها في العالم الأعلى والأسفل.

قال ﷺ في «الفتوحات»: اختلف أصحابنا هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدًا؟ أو لا يكون إلا شخص واحد انتهى كلامه

(٢) فائدة: قال الشريف ابن ناصر: فكمال العالم بالإنسان ككمال المرآة بالصقالة وكمال الجسد بالروح، فالإنسان روح منفوخ في جسم العالم، وهو العين المقصود لله تعالى وهو المحل لظهور الأسماء الإلهيَّة والكونيَّة، وهو مرآة جامعة لصور حقائق العالم كله من ملكٍ، وفلكٍ، وروحٍ، وجسمٍ، وطبيعةٍ، وجمادٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ إلى ما خصَّ به من علم الأسماء الإلهيَّة مع صغر حجمه وجرمه، بل العالم كله تفصيل آدم، وآدم هو الكتاب الجامع، فالإنسان روح العالم، والعالم جسده، فبالمجموع يكون العالم كله، فإذا نظرت إلى العالم بلا هذا الإنسان وجدته كالجسم المستوي بغير روحٍ.

قال ﷺ: كما أن الإنسان جسمٌ صغيرٌ، كذلك ملكٌ حقيرٌ من جهة الحدوث وصحَّ له التألُّه؛ لأنه خليفته في العالم، والعالم مسخَّر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى، وهو روح العالم.

اعلم أن الذاتي الحق لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره، فلحقه المرئي بالرأي؛ حيث أدركه في ذاته، وهو واحدٌ في الوجود؛ لأن الممكنات المربية في هذه الحالة منعوتة بالعدم، فلا وجود لها مع ظهورها للرأي، كما ذكرناه. فسمِّي هذا الظهور توحيد إلحاق: أي ألحق الممكن بالواجب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب الأسمائيَّة حتى الوجوب، ولا نقول بالغير؛ لأنه قلة الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله تعالى في حضرة الوجود والحق موجود للخيال في حضرة الانفعال المثل، فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل الذي هو جلاء المرآة وروح تلك الصورة، فإنه ما ثَّم على الصورة الحقيقية مثله فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، ويسمى هذا توحيد الوصلة والاتصال وتوحيد الإلحاق، فإن توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة صعب التصور إلا هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا =

ظاهرها: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر آية: ٢٦]

وباطنها: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر:٢٩](١) وهي الكتاب المرقوم الذي كتبه الله بيده قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص:٧٥](٢) وهو خليفة الله في أرضه قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠](٣)، وهو الصراط الممدود بين الجنة والنار، وهو مرآة الحق، التي جمعت صفات

تحققت مما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة. ومن هذا الذوق قال العارف:

فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض مثل اندراج المثل في المثل، واندراج الظل في الظل، والنور في النـور، فافهم. وانظر: مجمع البحرين شرح الفصين (ص٢٢١) بتحقيقنا.

(١) وهو عين هذا النفس بفتح الفاء، فقبلته الصورة على حسب استعدادها، وقابليتها.

وأمّا الروح، فيطلق على معانٍ مختلفة عند أهل الطريق، فالروح الذي نحن بصدد بيانه بمعنى ما ينفخ فيه عند كمال التسوية، وهي نفس رحماني من عالم الأمر كما قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وإنما قال ؓ: ولا بد أن يقبل الروح، ولم يقل لا بد أن يفيض روحًا؛ لأن الأمر من القابل وما بقي إلا قابل، فافهم. فإن الأمر قبولٌ واقتضاء كما سبق، ولا تنس الأسلوب والساق إلهيًا. إنما قال ؓ: إلهيًا؛ لأن الحكم صدر من مرتبة الألوهية كما قال ؓ، ومن شأن الحكم الإلهي، فما ظهر ما ظهر إلا باعتبار اسمه النور، وهو عين الوجود.

(٢) إنما خصَّ الإنسان الكامل؛ لأن غيره ما خُلق إلا بقولِ (كن فكان) كالملائكة عليهم السلام.

(٣) فائدة: وعلمه ما لم يعلم من علوم التأثيرات التي تكون من الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها، وله الأثر الكامل في جميع الكائنات، وله المشيئة التامة في جميع الموجودات؛ فإنه إقامة الظاهر بالاسم الظاهر، وإعطاؤه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص والتأثيرات التي تكون عنها الانفعالات، فيتصرف بها في العالم الأعلى والأسفل.

قال ؓ في «الفتوحات»: اختلف أصحابنا هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدًا؟ أو لا يكون إلا شخص واحد انتهى كلامه. فلمّا قرر ؓ أن آدم هو الخليفة بالاستحقاق يريد أن يبين أن الخليفة على صورة المستخلف، والمستخلف ذات ظهرت منها المرتبة وهي الألوهية؛ لأنها من اقتضاء ذاتي، وظهرت منها صور العالم كله أعلاه وأسفله؛ فلذلك ينبغي أن يكون هذا الخليفة. وعلمه ما لم يعلم من علوم التأثيرات التي تكون من الأسماء الإلهية التي تختص بالأرض حيث كانت خلافته فيها، وله الأثر الكامل في جميع الكائنات، وله المشيئة التامة في جميع الموجودات؛ فإنه إقامة الظاهر بالاسم الظاهر، وإعطاؤه علم الأسماء من حيث ما هي عليه من الخواص والتأثيرات التي تكون عنها الانفعالات.

يتصرف بها في العالم الأعلى والأسفل.

قال ؓ في «الفتوحات»: اختلف أصحابنا هل يصح أن يكون منه في الوجود شخصان فصاعدًا؟ أو لا يكون إلا شخص واحد انتهى كلامه.

الله الخلق، وذلك أنه ﷻ كان ولاكائن سواه، ولا موجود على الحقيقة إلا إياه، فأحب أن يعرف فنظر إلي ذاته بذاته فأبدع من نورها مرآة جعلها حدًا لما يعد ويحصر من أسمائه، وأظهر فيها مثال الأحد قائمًا بالأزل، والأبد قيومًا بالمكان، والسرمد في كون قابل للأمر منفعل تحت اللطف والقهر وهو الواحد الموصوف بالواحدانيه، وسماه العقل وهو الإنسان المعنوي، ثم فصَّل أسماءه وصفاته بحسب تنزلاته أطوار ومراتب أقام بين يدي كل طور حاجبًا، فأشرقت الدايره العقلية على ذاتها فتراقت لطائفها بالأفلاك والنجوم ورست كثائفها بخصائص الموالدات إلى النجوم، ولم يزل اللطف ساديًا فى الموجودات من المعدن والحيوان والنبات حتى وجد الإنسان جامعًا لطائف الأكوان، فكان آخر الموجدات بصورته، وأولها بمعناه فهو قطبها الذي عليه مدارها، ورمزها الذي إليه انتهاء غايتها، فتبارك الله أحسن الخالقين .



الفصل الثالث

اعلم هداك الله أنه لما كان الإنسان أول موجود بالفعل وثاني موجود بالتفاعل واسمه المعقول، وثالث موجود بالمعرفة في الفاعليه والشهود واسمه العاقل فهو العقل والعاقل والمعقول، وجبت خلافته عن الله تعالى ونيباته عنه فى الإبانه لسائر المخلوقات، ودلالته عليه في جميع التجليات وإشارته إليه في جميع الظهوارت قال ﷺ حاكيًا عن الله أنه قال:

«كنت كنزًا لا أعرف، فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم فبي عرفوني»(١).

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ١٧٣).

فائدة جليلة: فإن الذات الأقدس منطوٍ فيه نفائس جواهر الاسماء الذاتية التي هي عين ذاته الأقدس، وكونه مطلسمًا: أي لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا هو تعالى، فإن من عادة الكنوز أن يوضع عليها أسماء روحانيين تُسمَّى بالطلسم، حتى لا يطَّلع عليها أحدٌ، ولا يظهر منها شيءٌ، إلا لمن كانت هي له، والطلسم هو طل اسم. قال الشيخ المولوي: هو مقلوب مسلط، ففي الكلام استعارة، حيث شبَّه ذاته الأقدس المنطوية على أسمائه الذاتية التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحدٍ، ولا يمكنه ذلك لغيبه بالكنـز المطوي على النفائس التي يرغب في تحصيل شيء منها كل أحدٍ، ولا يمكنه ذلك لوضع الطلسم: أي الحروف المهمات عليه، المانعة من الاطِّلاع عليه. فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمَّل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك. فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني». أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر. وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لابد فيه من مخفي، ومخفي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًّا عليهم. وفي الحديث: «كان الله ولم يكن معه شيء». والجواب بأن للأشياء وجودين وجودًا علميًا، ووجودًا خارجيًا. فالوجود العلمي: الأعيان الثابتة وهي أزلية قديمة. والوجود الخارجي: محدث، فخفاء الحق تعالى بالنسبة إلى الأعيان الثابتة في الأزل فلما أراد الله تعالى أن تعرفه الأعيان الثابتة أخرجها من الوجود العلمي إلى الوجود الخارجي لتعرف الله تعالى، يقتضي أن تعتبر الأعيان الثابتة مع الهوية الأحدية، وأن تساوقها، وليس كذلك بل الجواب الصحيح أن يقال: أن الخفاء كناية عن عدم عالم به سواه، فكأنه قال ﷺ:كنت كنـزًا غير معلوم لأحدٍ سواي، على أن الأمور الذوقية، والأسرار الإلهية لا يلتفت فيها إلى مثل هذا الإيهام. وانظر: شرح الصلاة الأكبرية للقادري (ص١١٥) بتحقيقنا.

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنـزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيته القاهرة أن يعرف المعرفة اللائقة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي.

إلحظ خفي هذه الأشاره من قوله ﷺ: «فبي عرفوني» فتعريفه ﷺ هو تنزله عن ذاته إلى صفه رحمانية لتظهر عنها سائر الأسماء والصفات والاستواءت وسائر مراتب المخلوقات أشار إلى ذلك بقوله ﷺ: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١١٠] أحال بالدعاء إلى الرحمن لقربه من الإدراكات وظهوره للموجودات بتنوعات التصرفات، ألا سمع إلى ما أخبر ﷺ عن اسمه الرحمن في صورته، وما نسب إليه من التصرفات في هذه الدار وفي الأخرويات، فلما انتهى الوصف أثنى على اسمه المخبر بقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] ويقرب من ذلك قوله ﷺ: «إن الله كتبا كتابًا في أزليته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام هو عنده على عرشه فيه رحمتي سبقت غضبي»[1]. ولولا سبق الرحمة الغضب لما وجد موجود، فإن الرحمة عمت الأشياء كلها حتى الغضب فلولا وجودها ارتفع

-

- قال في «الفتوحات»: الصحيح كشفًا، الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معناه - «كنت كنـزًا مخفيًا لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفون»، انتهى.

وذكره في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت كنـزًا مخفيًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفي كتاب «عقلة المستوفز» أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقال له عز وجل: كنت كنـزًا مخفيًا لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني.

وذكره سيدي علي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية»، وابن غانم المقدسي في كتابه: «حل الرموز» وجماعة بلفظ كنت كنـزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبي عرفوني. وذكره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محي الدين البوني ﷺ بلفظ: كنت كنـزًا لا أعرف، فخلقت خلقًا فتعرفت إليهم فبي عرفوني. قالوا: ومعنى قوله: خلقت خلقًا. قدرت أعيانًا تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم علي، فبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل. وقال الجيلي في «كمالاته» هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد.

وقد أجمع المحققون يعني من أهل الله تعالى على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى.

وأما ابن تيمية فذكر أنه: ليس من كلام النبي ﷺ وأنه لا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وتبعه بدر الدين الزركشي، والحافظ ابن حجر وغيرهما. وقد وافقهم مؤلف «الإبريز» وقال: إنه لم يقله النبي ﷺ؛ ولعله أراد أنه لم يقله لفظًا، وإن كان له معنى، أو أنه من كلام الكتب الإلهية لا من كلامه ﷺ راجعه وراجع «المقاصد الحسنة» للسخاوي رحمه الله. وانظر: جلاء القلوب (بتحقيقنا).

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، وأحمد (٧٢١٥).

وجوده، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦][1]

وقوله: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر:٧] تفهم سر إضافة السبيل، فإنه من الأسرار العزيزة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الفصل الرابع

اعلم رحمك الله أني لست أعني بالإنسان الشكل الحيواني المؤلف من الإشتات المشخص من الغذاء القائم في الجهاد، إنما الإنسان معنى وراء ذلك مما لا يفهم ويبهم فلا يعلم، ويكتم فلا يرقم، ويخطر على الجهال ويحرم، وإنما بسط ما تقدم من الكلام من معنى الإنسان لينبه الشخص الحيواني من رقدته، ويفصح عن فضائل الروح الإنساني المضاف إلى الحضرة الربانية بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾، ويلاحظ وجوده في المقامين العالي والدَّاني، متصلاً باللاهي والرحماني منفصلاً عن الحيواني والشيطاني، فانظر - رحمك الله- إلى لطف إشارته ﷺ بقوله: «من عرف نفسه عرف ربه»[2].

---

(١) فائدة: ولذلك قال ﷺ في الحديث الربَّاني: «رحمتي سبقت» بالغين المعجمة «غضبي» في بعض الروايات: أي وسعتها وتعدتها، وذلك لأن الرحمة صفة لا تعلق لها بفعلٍ ولا غيره، وأما الغضب فمتعلقه فعل العبد، وهنا أمورٌ تقصر عنها العبارات، ولا تنفع فيها الإشارات؛ لأنها أرق من الشعر، وأدق من النظر، ولذلك هذا البحر صاحبه هو الفرد الكامل، وهو الغوث الفاضل عليه يدور أمر الوجود، وهو خليفة الرب المعبود؛ لأنه صارت لـه الصفات الإلهية ذاتًا محضة، فأعطى كل رتبةٍ من مراتب الموجودات الإلهية والخلقية حقها؛ لتخلقه بالأخلاق الرحمانية كما قال ﷺ: «تخلَّقوا بالأخلاق الرحمانية»، وفى رواية: «تخلَّقوا بأخلاق الله». وهنا نكتة لطيفة من بعض جوامع كلمه ﷺ وهى قوله بالأخلاق الرحمانية، ولم يقل بالجبارية ولا العظيمة ولا الكبريائية، قال بالرحمانية لما فيها من الشمول الغير متقيّد بشيءٍ، وتقدم أن الأصل في الصفات هو (الرحمن)، كما أن الأصل في الأسماء هو (الله).

واعلم أن اسمه (الرحمان) على وزن (فعلان)، وهو يكون في اللغة لقوة اتِّصاف المتصف به وظهوره عليه، ولذا وسعت رحمته كل شيءٍ. واعلم أيضًا أن هذا الاسم تحته جميع الأسماء الإلهية النفسية وهى سبعة: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام.

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٣)، والقاري في المصنوع (١/ ١٨٩).

فالعارف إذا لم يتعلق عرفانه بنفسه الكلية وحقيقته الجامعة لا يتأتى منه عرفان ربه؛ لأن ربه مطلق عن القيود والنسب، والإضافات، وهو بهذا الاعتبار لا تتعلق به المعرفة.

وأمَّا نفسه المتجلي فيها الرب بحقائق أسمائه فيتعلق بها تلك الرؤية من حيثية التجلي، فيكون حقيقة نفسه =

وقوله ﷺ: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون»[1].

وقوله ﷺ: «يبعث أحدكم على ما مات عليه»[2]. أشار ﷺ إلى أنه للإنسان قدر في الأخرة الا بمقدار ما عرف من قدر نفسه في الدنيا، يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

وأعظم بلاغًا من ذلك: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٢].

وليس المراد بالأعمى أعمى البصر، بل أعمى البصيرة عن مشاهدة الآيات الظاهره في آفاق الحكمه فكيف بمن عمى عن مشاهدة الآيات في نفسه قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣].

انظر- رحمك الله - إلى ما في هذه الايه الشريفة من سر القدرة في البيان، والكشف في إظهار الحق عند رويتهم الآيات التي في الآفاق، وفي أنفسهم إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أي هو قلبه، ثم قال تعالى بعد هذا الكشف العظيم، والصراط القويم، في معرض الاستفهام، والتعجب من غفلتهم عن المشاهدة لهذا الظاهر الخفي: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فكانت هذه أعظم كشفًا وأشهد بيانًا لمن ألقى السمع وهو شهيد الحفظ، وافهم معنى الاشتراك في الآيتين، فإنه سر من أسرار الله تعالى وتقدس[3].

=

ومعرفتها مرآة ربه ومعرفته هذا، وإنها غلط من غلط بقياس الغائب على الشاهد، وهو ممنوع باطل إذ فرق بين الملك والملكوت، وكذا بين الملكوت والجبروت واللاهوت والكبرياء رداؤه الذي يلهمه عقول العلماء بالله أي للتفهيم لا لمعنى آخر، فلا رداء هناك حقيقةً، والعجب أن مثل هذا الإطلاق التشبيهي كثير في القرآن والحديث، وقد فهمه العرب بسليقتهم ولم يترددوا في ذلك أصلاً، ثم إن أهل الاعتزال قالوا لعمي بصيرتهم وسوء فهمهم ما قالوا، فأولئك هم المحرومون من الجهال الحقيقي إلا أنهم في مرية من لقاء ربهم.

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٥١٢٦).

(٣) قال الشيخ روزبهان البقلي: أظهر الآيات وجعلها مرآة لصفاته وذاته سبحانه ويتجلى منها أنوار الذات والصفات للشاهدين مشاهدة القدم سرًا بسر في حقائق التوحيد وظاهرًا يرونه من الآيات في زمان

=

العشق في لباس الفعل استقامة للمحبة والتباسًا لأمر الحقيقة، ولو ظهر بنعت الألوهية ظاهرًا وباطنًا لتعطلت الأشباح ولفنيت الأرواح واضمحلت النفوس والعقول؛ لأن بروز سطوات الأحدية لا يحتمله الآيات ولا الأشباح ولا الأبصار ولا الأفكار، ذكر في الأول آيات، ومقصوده صفاته التي تشرق أنوارها في آفاق الإسرار والآيات العالم الفعلي، والمقصود من الصفات ظهور الذات لنظَّار حقيقة الحقيقة وإلا فأين الآيات في ظهور الصفات والذات الآيات للعيون، والصفات للقلوب، والذات للأرواح، وسر القدم للأسرار لا ينكشف السر إلا للسر والعارف الصادق إذا كان في عين الجمع لا يرى شيئًا إلا ويرى الحق بعينه؛ لأنه في حقيقة الحقيقة ما بدا منه هو فعله وفعله غرق في صفاته، وصفاته قائمة بذاته، فإذا شاهده في نفسه كما شاهده في آياته يختلط الأمر ويغيب الحدث في القدم، ويحل عليه سكر الانائية فيدعي الربوبية؛ لأن مشاهدة الآيات يقتضي العشق والمحبة ومشاهدة الحق في مرآة النفس يقتضي الاتحاد من تأثير مباشرة سر التجلي، وهذا حال الحلاج -قدس الله روحه- حيث قال: أنا الحق، وحال الأول حال الواسطي حيث قال: ضحكت الأشياء للعارفين بأفواه القدرة بل بأفواه الرب، لو ترى يا شاهد مشاهدة الحق في الآيات ترى أنوار العظمة والكبرياء من عيون الأساد وأنياب الثعابين، وترى أنوار جماله من أوراق الورد والنرجس والياسمين ووجوه الحسان، وتسمع أصوات الوصلة من ألحان الطيور والبلابل والعنادل، وأصوات الرياح والسحاب والإنسان والأوتاد ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: «الورد الأحمر من بهاء الله من أراد أن ينظر إلى بهاء الله فلينظر إلى الورد الأحمر» قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: سنريهم هذه الحقائق في الآيات وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنها هي الحق بعينه لا الآيات ولا الآفاق، ولا الأنفس إن لاح الحق من الحق لأهل الحق وتأكيد ذلك برهان ظهوره من كل شيء وشهوده على كل ذرة من العرش إلى الثرى بنعت التجلي، وتبسم صبح الأزل في عيون المشاهدين جلاله قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أي: ظاهر من كل شيء بسطوع نور أزليته منه لكل مستأنس شاهد به فيه، ثم بيَّن أن المحرومين في الأزل بسبق الشقاوة لا يرونه حقيقة وبيانًا وكشفًا وعيانًا وعزًا و سلطانًا وبرهانًا بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ﴾ أي: أنهم مطموسون عن مشاهدته بلطها، فهره فهم في شك وريب من حيث عماهم وجهالتهم، ثم أكد أمر ظهوره على الكل بقوله: ﴿ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ أحاط علمه وقدرته وجلاله وجماله بكل شيء من العرش إلى الثرى، لكن لا يراه بنعوتها إلا العاشقون الوالهون العارفون. قال القحطبي: لا يزال العبد يرتقي من حال إلى حال حتى يبلغ إلى الأحوال السنية العلية؛ فيرى الله قائمًا بالأشياء ثم يرقى به من ذلك الحال حتى يرى الأشياء فانية في رؤية الحق، ويتيقن أن القديم إذا قورن بالحدث لا يثبت له أثر، وإن جل قدره وعظم خطره، وهو معنى قوله [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق] وهو النظر إلى الكون بمشاهد الحق، ثم النظر إلى الحق بالفناء من الكون وهو أن يصير النعوت نعتًا ولا يشهد إلا حقًّا صرفًا.

وسئل أبو عثمان عمن يقول بالشاهد فقال: لا أنكر القول بالشاهد لمن يشهد الأشياء كلها شيئًا واحدًا.

ثم اعتبر رحمك الله معنى قوله تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت:٥٤]؛ لخبر إنهم في مرية من لقائه، لعدم تحققهم الآيات التي في الآفاق وفي أنفسهم، ثم أخبر أنه محيط بهم في جميع التقلبات والأحوال، وأن لا ملجاء إليه تعالى وتقدس إلا هو، لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم .

الفصـــل الخامس

يجب على من لاح له بارق أو لمع له لامع ، من شاع شمس الإنسانية أو بزغ له قمر محبتها إن يصرف أوقاته بعد جمع فواه الباطنة والظاهرة وتخليصها من الشوائب والكدر وات، وقطعها عن المألوفات في الجد والأجتهاد حتى يعرف صورته الباطنة ، ومبلغ قدرها عند موجودها القديم ويفهم قدر أستعداده في تنزلات الأسماء فلا تقنع ياأخي بالظواهر.

واعلم أن الله جعل لباب الأشياء في بواطنها فلا تقف خلف حجب اللذات ولا يشغلك عن كشف الأسرار، وفور المال وإتساع الحال، ومجالسة السلطان، ومعشارة الخِلان ، وسماع الألحان، والشغف بالعيان فتقف دون الغاية، وتنقطع عن اللحاق بآهل العناية، وعليك بالاجتهاد في صحبة رجال الله الدالين عليه بالطرق القريبة النورانية وإياك

-

وقال الواسطي: ظهر من كل شيء بما أظهر منه، وإظهاره الأشياء ظهوره بها فإذا فتّشها لا يجد غير الله، قال الله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) دون غيره، ولذلك قال النبي ﷺ أصدق كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقال بعضهم: يرى الأشياء عدمها وجودها ووجودها عدمها كما أن كل قرب بعد، وكل بعد قرب؛ لأن إحاطة القدرة بالشيء وجود الشيء. وقال الواسطي في [قوله أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد]: لو شهدوا شواهد الحق فيما جرى عليهم من المخالفة والموافقة لما اضطربوا فرحًا ولا حزنًا نفيًا للشرك والمقارنة، وقال أيضًا: أوائلها للطائعين والعابدين طالعوه وراقبوه وأواخرها للواجدين شاهدوه على آباده وسرمده الذي فيه فناء معاينهم.

وقال ابن عطاء: آيات الحق بادية لمن كحل بنور التوفيق ونظر إليها بعين التحقيق وكل ما أظهر الله تعالى من خلقه ناطق بتوحيده إما صريحًا وإما دليلاً منه للحق أن شاهدوا ونظروا عن بصر وبصيرة ولا دليل عليه وإليه سواه، فإن الكل حدث وهو القديم، ومتى يُستَدل بالحدث على القديم.

والإعراض عن أهل الله فهم كالشمس من أستقبلها مشى وظله يتبعه، ومن أستدبرها يقع ظله حتى يهوى به في الدرك الأسفل من النار، واعلم أن العجز مطية لايبلغ راكبها مطلوبًا، ولا يصل إلى غاية فإن كنت رحمك الله ذا رغبة فيما عند الله فاهجر الأصنام والأوثان وأعرض عن الزمرة السفلى، وأقبل على الملأ الأعلى.

واعلم أن الطالب مني صعب القيادة لمن يروضه، تعسر عليه تحصيل مطلوبه، فكن سلس المقياد في الفهم لرابضك تبلغ غاية من أدركها كان رئيسًا من رؤساء النوع، وساد أهل زمانه وعد من الأفراد الذين لا يسمح الزمان بهم الا الغذ بعد الغذ ، واعلم أنه من عرف نفسه فهو الإنسان بالحقيقة، ومن عرف بعض قدرها فقدره هناك، ومن لم يشعر بها، فلا قدر له في الحقيقة فلا يطمع مدعٍ في نقص الإنسانية من غير معرفتها بالحقيقة، في أهل عصرنا وصوفية وقتنا، وهذا مغرور بتنميق الكلام بالجدال بالباطل، وهذا المشرف بتحسين الظواهر، وذلك لما وجدوه من النقص في أنفسهم ولا سبيل لهم إلى الكمال، فطلبوا الكلام في تحسين ظواهرهم وهذه بضاعه لاتتفق عند أهل الحق، فلا تغفل يا أخي والبدار البدار إلى معرفة نفسك المؤدية إلى معرفة ربك، ولا تنهب العمر نهبًا.

واعلم أن الأنفاس معدودةٌ، وأنك مطالبٌ في كل نَفس منها بعلم أو عمل فاستعدً للجواب .



الفصل السادس

اعلم أرشدك الله أن مدة العمر لتحصيل الكمال الإنساني والالتحاق بمراتب الأولياء، والرُّقيّ إلى درجات العارفين، ومعرفة الشخص قدر نفسه، أبهى ما يكون غالبًا كما ذكره الحكماء الطيبون مائة وعشرين سنة، منها ما قبل البلوغ لا اعتداد به، ومنها بعد المائة لا انتفاع به في تحصيل كمال لما يعرض فيه من الآفات والعوارض وضعف القوى، الباطنة والظاهره، فالخالص منها من الشوائب غالبًا ألف شهر يقظة ومنامًا، والغرض من هذه الألف شهر معرفة الشخص ليلة قدره، وهي معرفة حقيقية الإنسانية، فإذا أطلع عليها بما علم أن ليلة القدر خير من ألف شهر إذ فيها تنزل الملائكة، وتشهد الروح، وتسمع أذان الله تعالى وتقدس في كل أمر مرسلاً، وهي إشارة إلى الحصول بردٌ اليقين ببلوغ الكمال الإنساني حتى مطلع الفجر الحقيقي، وهو نهاية العمل الدنيوي، فإن مشاهدة ما أشرنا إليه في الدنيا كما يشهد النائم شيئًا من اللذات، فإذا انتبه رآه حقيقة، وكذلك المطلع على حقيقية الكمال الإنساني إذا طلع فجره الحقيقي حصل له عين اليقين بعد علم اليقين ورأى هناك ما لاعين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات:٦١].

﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١].

هدانا الله وإياك أيها الأخ أوضح سبيل العارفين بمنه وكرمه، إنه لطيف خبير، والحمد لله رب العالمين أولا وأخرًا.

وصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وحسبنا الله ونعم الوكيل

نُور الدلالات لمشاهدة التجليات

تصنيف

الشيخ محمد بن شعيب الحجازي الشعيبي الأبشيهي
كان حيًّا سنة ١٠٢١ هـ

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر يا كريم

الحمد لله الذي تنزل رقائق الوجود من فيض وجوده الاقدس، بحركة حبية من غيبه الي عينه ومن غيبه الي عالم الشهادة في الوادي المقدس، بنفخة ارادية من سر نفسه الانفس، فعطرت وقطرت وامطرت بغيث الرحمة المنزلة في ارض الوجود فاهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج بنور نار القبس، احمده واشكره علي ما اولي وانعم من وجود الحدث والقدم واسبغوا القدم علي الطريق الاقوم المقدس واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الواحد الاحد الساري في مراتب الاعداد باحديته، لا مشارك له فيها ولا تجلي ولا قبس، واشهد ان محمدا القائم لسر الغيب من عين الغيب الي الشهادة عبده ورسوله المتجلي به له صلي الله عليه وسلم صلاة الابد الي الابد وعلي آله وصحبه وسلم مدة دوام النور والغلس امين وبعد فهذه رسالة التجليات الربانية والاسرار الرحمانية تجلت علي ذاتي بعالمي واباي وجزء يا ي

الصفحة الأولى

الذي وسع الحق ويتقلب معه في كل تجل يتجلى الله فيه ولهذا
قال لا يسعني سمائي ولا أرضي ويسعني قلب عبدي المؤمن
والزجاجة المذكورة المشار إليها بالقلب الذي وسع
الحق كأنها كوكب دري وهو شمس الحقيقة لا غير الكلامية
النورانية للنورة بأسمائه النور القائمة بالكليات
والجزئيات من المولدات الثلاث وقمر الأفلاك نوره
جزء من مائة جزء من نور الشمس ونور الشمس جزء
من مائة جزء من نور العرش وهو جزء من أجزاء كثيرة
من نور الله عز وجل ذلك الكوكب الدري توقد من
شجرة مباركة وهي شجرة وجود الحق عز وجل المباركة
كما قال إنا أنزلناه في ليلة مباركة ونعتها بالليل
لشدة خفاء التنزل فيها كالعما المذكور زيتونة أي
شجرة الزيتون مباركة وهي من شجرة الوجود لا غير
وفي الإشارات ما يغني عن الكلم لا شرقية محسوسة ولا
غربية محسوسة أي لا جهة من كل الوجوه ولا خلقية
من كل الوجوه بل تنزيه في تشبيه وتشبيه في تنزيه
كما قال ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تنزه
وشبه في آية واحدة بل في نصف آية ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شيء عليم بذاته لأنها كل شيء

الصفحة القبل الأخيرة

ترجمة المصنف

هو سيدي المحقق المربي بحر العلوم الشيخ: **محمد بن شعيب بن محمد بـن أحمـد بـن علي الحجازي، الشعيبي، الأبشيهي، السنديوني، المصري، الشافعي.**

كان حيًّا سنة ١٠٢١ هـ.

من تصانيفه:

- الجوهر الفريد والعقد الوحيد.
- الفلاح في النصيحة.
- الاتضاح في مقام السلوك والتوحيد.
- مفاتيح الغيوب وتعمير القلوب في تثليث المحبوب.
- المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية (بتحقيقنا).
- شق الجيوب عن أسرار معاني الغيوب.
- تجلي المحبوب في أُفق سماء القلوب.
- آداب البدايات والتوسط والنهايات.
- التعبير في علم التفصيل.

قلت: وجميع ما ذكرنا له من مؤلفات كدنا ننتهي من تحقيقها بفضل الله تعالى.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتق رتق الوجود من فيض وجوده الأقدس، بحركة حبية من عينه إلى عينه، ومن غيبه إلى عالم الشهادة في الوادي المقدس، بنفخة إرادية من سر نفسه الأنفس، فعطرت وقطرت وأمطرت بغيث الرحمة المنزلة في أرض الوجود فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوجٍ بهيجٍ بنور نار القبس.

أحمده وأشكره على ما أولى وأنعم من وجود الحدث والقدم، واستوى القدم على الطريق الأقوم المقدس .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد الساري في مراتب الأعداد بأحدية لا مشاركة فيها ولا تجلي ولا قبس.

وأشهد أن سيدنا محمدًا الفاتح لسر الغيب من عين الغيب إلى الشهادة عبده ورسوله المتجلي به له، صلى الله عليه صلاة الأبد إلى الأبد، وعلى آله وصحبه وسلم بدوام النور والغلس ... آمين.

وبعد ... فهذه رسالة التجليات الربانية والأسرار الرحمانية تجلت على ذاتي لمعالمي وآياتي وجزئياتي وكلياتي، من غيبي إلى عالم الشهادة تجليًا جماليًا وجلاليًا بنوره إلى نوره، من بطونه إلى ظهوره؛ ليعرف المتجلي له من تجلى وبذاته تحلى، وسميتها بـ «**نور الدلالات لمشاهدة التجليات**».

تجلي راهب الدير: لما تجلى راهب الدير بلوامع آياته وصريح مناجاته، فقلت له: إننا من كذا، قل لي! قال: نديمك الآلي. قلت: يأمنا كلي. قال: لي وكلك لي. قلت: فمتى الانبساط! قال: بطيك البساط. قلت: فأين هو؟ قال: وأنت هو. قلت : أنا هو أم هو أنا؟

قال: وما الغير الذي يجيء هنا؟ قلت: فما رفض حجاب الأنانية!

قال: بمحو البقية، فقمت له وقبَّلت يديه، وجعلت الأمر منه وإليه.

تجلى الشماس: قلت له: يا شمَّاس أنا الكاس وأنت الطياس.

قال: إن نزلت منازل الأكياس. قلت: فما هو؟ قال: بل دليك هو. قلت: فأين القرار. قال: بقرب المزار الذي تشرق منه الأنوار، فادخل إليه، واجعل الكل فيه، فهو الكل وكل الكل.

تجلى القسيس: قلت: يا ترجمان الحضرة، فما أصل عصر الخمرة.

قال: باكورة الفواكه من بساتين الرضوان الأكبر. قلت: وأين يصح هذا الكلام؟.

قال: بقتل الغلام وخرق السفينة وإقامة جدار الفلاحين، فهنالك يظهر الكنز رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري بل من ربك تنزل الرحمة.

تجلي سر الملك: قال: سر الملك يا أيها الإنسان أنت لعيني إنسان فلا تنسان.

فقلت: أرني إياك، قال: ومن سواك إلا السواك الذي في أرض الأراك، قلت: أراك إياه، قال: وأنت لن تراه إلا بها وراه ، فما حققت عيني إلا بعيني.

وقلت: لا تجلي جبرائيل قال: جبريل أنا رسول الملك الجليل صاحب التنزيل ، قلت فما أنزلت في المنزل من التنزيل. قال: الذكر الحكيم ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]. قلت: الكتاب لمن؟ قال: لرب الأرباب. قلت: القريب المجيب. قال: بل والحبيب هو الحبيب. قلت: قد قَولت الكتاب في ذوي الألباب، وصرفت بلا تجلي إسرافيل. قال: جئت من جانب اليمن بنفس الرحمن إلى الرحمن بالرحمتين.

قلت: الرحمن استوى على العرش. قال: ورحم من في السموات والأرض.

وقلت: فمن بقي! قال: الرحمة فحسب؛ فعرفت أني بعيني عين تلك تجلي ميكائيل بالاسم الرازق من الرزاق. قلت: فما الغذاء! قال: التغذي بالغذاء هو الغذاء.

فقلت: أين هو؟ قال: ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٤، ١٥].

قلت: فما الآية الكبرى؟ قال: حول العرش تسبح بحمد ربها بعين وجودها. قلت: وجودها المعروف بها؟ قال: نعم، فعلمت ما هي إلا هي تجلي عزرائيل بأخذ النفس عن حسها. قال لي الملك: أنت الملكوت أم الملك. قلت: المعلم مع العالم ، قال العالم لا هو إلا هو.

قلت: فما أنا ؟ قال: بلون الإناء، وأنا القائل: إنني أنا، وأنت الأنا، لا أنت أنا، ولا أنت أنت، أنت بنا لا بنا فحسب؛ فعرفت أن الموت حلَّ، وأن الغير ارتحل، واللقاء في المحل، فسجدت لله وقمت بين يديه بلا حساب.

تجلي النفس المطمئنة[1]: بحضرة الجمال في مقام الجمع لما رحبت إليه عند سماع الخطاب

(١) قال الشيخ القاشاني ﷺ: النفس المطمئنة هي التي صارت مطمئنة على المداومة على الطاعات، بحيث لا تجد ميلاً إلى تركها ولا طلباً لشيء من المعاصي، وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ فدخولها في العباد المضافين إلى الحضرة هو دخولها في زمرة الأرواح المقربين المكرمين ﴿الذين لا يعصون﴾؛ ولذلك لا تضاف هذه النفس المطمئنة بأوصاف المعتكفين على حضرة القدس، وتخلقها بأخلاقهم من =

من المقام الأعلى انبسطت بالمناجاة حين قال لموسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ﴾ [طه:١٤] من شجرة التجلي المشار إليها بالنار الحبية، بكن بدا منها نور المعرفة فوق جبل عرفة فزال ويلها بمحو ظلام ليلها، وطارت بالجناحين إلى قاب قوسين، واتحدت العين بالعين، ولا اتحاد بين عين العين.

تجلى تارة وتارة: الجمع إذا تجلى يلقى الفرق في بحر العدم، فتبدو منه الأسرار وتشرق منه الأنوار لوجود الحقيقة؛ فيحصل الانفعالات والتأثيرات في مراتب الوجود وفيه بلوغ المنى بمقام الخلافة، فأما إذا جمعك بك وفوقك عنه واستعيدك له، فأنت واقف بين العبادة والعبودية بلا عبودة، فأنت في مقام ولاية التنسك، فتهتك فيه به، وكن خليفة وأن تحك رجلك بالليفة.

تجلي الحقيقة: بقرب الفرائض والنوافل، والفرائض من الأحدية، والنوافل من الواحدية مشروطة بالمحبة لما نشرت الذات معالمها في عوالمها بكثرة الوجود، فصلت المجمل بالأحكام التفصيلية؛ لكن سرت فيها الأحدية بقوة سلطانها، فانطوى التفصيل في المجمل وبقي الأمر واحد، فمن رأى ذلك صح له سر التوحيد، وأما من رأى الكثرة استولت عليه الحيرة، وتاه بكثرة النوافل عن أداء الفرائض.

فالفرائض هو، والنوافل أنت، فانظر مرتبة الوتر، ومرتبة الشفع، وأنفع الحديث: «أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ»[1].

التجلي الوصول إلى الأصول: ما وصل الواصل إلا إليه من حيث الأحدية لا من حيث المسافة، فما رأى له عنه انفكاك إلا إلى دار الخلد يكون الارتباط مع بقاء الأحدية المستحبة على كل المراتب، فبالأحدية اتصلت الواحدية لأنها المبدأ والمآل، فما ثم وصول إلى

النزاهة على التلذذ بالجسمانية الدنية عن التلبيسات بأحكام الانحرافات الخلقية والنقائص الطبيعية بتنزهها عن العادات المردية، وقيامها بأنواع العبادات المنجية، فصح لها الدخول في باطن الجنة، الذي هو ستر غيب الذات بستور صور الصفات كما عرفت، وذلك لخلعها ملابس الخلقية وتحققها بصفة الوحدة الحقية. وهذا التفسير المذكور في النفس الأمّارة ثم اللوّامة والمطمئنة هو على اصطلاح الطائفة وأرباب النظر العقلي يعبّرون بالأمّارة عن النفس الحيوانية لكونها هي الأمارة بالشهوة والغضب وبالمطمئنة عن القوة العقلية، وعن اللوّامة عن كل واحدة من النفسين باعتبار مخالفتها للأخرى.

(١) رواه الترمذي (٢/ ٢٦٣)، والنسائي (٦/ ١٦٦).

شيء بحال من الأحوال، وإنما هو محو وإثبات وعروج ومراجعات منه إلى تجلي المعرفة، والمعرفة هنا لا تصح، وإنما يصح العلم، والعلم عين والمعلوم أنت، فبالعين وجد العلم والمعلوم، وبالمعلوم بطل الجهل، وخفي في بحر العدم؛ لأن الحادث لا يقارن القديم، والقدم رحمة سابقة نشرت حكمها على كل من وجد حتى العدم لو وجد وما ثم إلى الوجود، فالرحمة لا تفارقه أبدًا: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] إيجادًا وإمدادًا، فبالرحمة وسعت الرحمة، فما بالك بالغضب العارض الذي أصله العدم، فالزم الرحمة، فإنما يرحم الله من عباده الرحماء.

تجلي الصفات من مفاتح الغيب: إنما ظهرت الصفات بالكثرة إلا بجهل الأحدية من حيث هي هي، وإلا ما ثمَّ تجلٍّ فيها أبدًا، فبالتجلي ظهرت الكثرة بمراتب الأعداد من تكرار الواحد في مراتب الأعداد، فبالواحد وجدت، وبالمراتب خفي إذا ظهرت أو بطنت، ومع ذلك لم يبطل تعقل الواحد في مراتب الأعداد، إن تأملت فهو منسحب عليها انسحاب السائر بعدد يقطع من المنازل؛ فالمنازل كالصفات والمسافر ذات المنازل؛ إذ هو المنشئ لها، ولم يصح لها وجود إلا به، وأعني بالمراتب الأربع آحاد وعشرات ومائة وألوف، وكلها بإمداد الأحدية انتشرت، وفي الحقيقة ما شمت رائحة من الوجود لتفرد الأحدية به، فتراها لا ترى إلا الواحد من غير زائد، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود آية:١٢٣] يأتيك ﴿فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ كما قال.

تجلي النفس الكلية(١): بمظاهر الغيب من عين الوجود بشفع الوتر، وذلك لما تعلقت

---

(١) يعنون بالنفس الكلية المسماة باللوح المحفوظ، وبكل شيء، وبالكتاب المبين، والروح المضاف، وذلك لأن هذا الروح لما قبل ما نقشه القلم الأعلى فيه صار متضمناً صنفي الكلم: الفعلية، والقولية مفصلة، بحيث لا يفوته شيء مما يدخل في الوجود إلى انتهاء يوم القيامة، سمي بهذا الاعتبار بكل شيء المعني بقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ ثم إنه باعتبار توجهه إلى موجده وأخذه المدد عنه بلا واسطة يسمى روحًا مضافًا إلى الحضرة الإلهية، ثم باعتبار تنزله وظهوره متصورًا في تنزله وظهوره بالصور المثالية، والحسية البسيطة منها والمركبة عرشًا، وكرسيًا، وسموات، وأرضين وما بينهما من الأفلاك، والأملاك، والكواكب، والعناصر والمولدات معدناً، ونباتًا وحيواناً، وإنسانًا، يسمى بالكتاب المبين الفعلي، بقوله تعالى: ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾، ثم باعتبار توجهه بوصف التدبير والتكميل لما تفصل منه وظهر بصور الموجودات المثالية والحسية، فيدبر ويحفظ ويكمل، سمي بالنفس =

القدرة بحركة الإرادة الحبية، انشق القلم الأعلى من هيبة العظمة وبرزت اللطيفة الإنسانية بلوح العظمة؛ فأمر الله عز وجل بحركة الكتابة، فسطر فيه قلم الأفلاك ما كان كامنًا من العلم الذي هو في أم الكتاب؛ فبحركة الأفلاك ظهر ما في الغيب من العلم القديم بالكثرة المتوهمة بمظاهر المعلومات عن المولدات الثلاث، فلا عجب بالكثرة بعد ما أريتك، فالهيولي أحدية، والكثرة واحدية، والجامع بينهما القلم لا غير، فبالقلم بدا الوجود وبالعلم ظهر المقصود من الغيب إلى العين، فاشهد ولا تنكر، فالكفر منوط بالإنكار، والتصديق منوط بالإيمان، وهو المؤمن وهو لا غير.

تجلي القلم الأعلى[1]: من العقل الأول، والعقل الأول رحمة الوجود نور شفاف، خلق القلم منه بنور يسري في كل ظلمة، فيمحو إظلامها ويشرق نوره فيها، فيبدو بأنوار لا تُحصى ولكنها ترجع إلى النور الأول، فالحكم له عليها بعلة السبق الأول، فعمت به الرحمة الوجود كله، حتى صار الوجود عين الرحمة، فبالرحمة كان الأمر، وبالرحمة ختم، حتى أن الرحمة عمت كل حركة من حركات القلم، وما خطه القلم من الحروف، فهو مرحوم بخط القلم، ألا ترى حرف الألف الأحدي تعين بكل حرف حرفًا، وما من حرف إلا ومنه استمد، وله استعد، وما استمد منه إلا الوجود ،والوجود عين الموجد الذي رحم بوجوده الموجودات بإفاضة الوجود الذي أخرجها من كرب العدم إلى فضاء الوجود، وهو رقم الألف الأحدي الذي أمده القلم بحركة الحب لا غير إن فهمت.

تجلي العقل الأول[2]: من النور الأقدس إلى النور المقدس بعين الرحمة من الرحمن الذي استوى على عرشه، فأنتجت وجوب الرحيمية المقيدة بالعمل الصالح والتقوى، فهي أيضًا

= الكلية، ثم قال: الزمردة: هي النفس الكلية، وقد عرفت سبب تسميتهم لها بذلك في باب الدال عند الكلام عن الدرّة البيضاء، وسبب تسميتهم العقل بها، ثم قال: الكوكب الدرّي: هو النفس الكلية شبه بها زجاجة قلب المؤمن التي هي روحه الحيوانية، فقال تعالى: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

(١) القلم الأعلى وهو العقل الأول، سمي بالقلم الأعلى من جهة كونه واسطة بين الحق في إيصال العلوم، والمعارف إلى جميع الخلق المشار إلى ذلك بقوله تعالى: «اكتب علمي في خلقي»، وبقوله: «اكتب ما هو كائن».

(٢) هو أول جوهر قبل الوجود من ربه؛ ولهذا يسمى بالعقل لأنه أول من عقل عن ربه، وقبل فيض وجوده.

من الامتنان الذي امتنَّ به على النور المقدس، فهو عين الرحمتين حتى لا يفوته شيء من جنس الرحمة، فبالرحمة وجد العالم وبها ختم الأمر: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء:١٠٤] وما بدا إلا من الرحمة، ويعود إليها، فالوجود كله رحمة الرحمن الذي أوجبها بالرءوف الرحيم الذي أحاط به عرش الرحمن، فكل ما كان دون العرش أصابته تلك الرحمة، فما بالك بما فوق العرش الذي هو بكل شيء محيط حتى عرش الوجود، فإنه راحم غير مرحوم، ولهذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] حسًا ومعنىً وحكمًا، ثم إن الرحمة سرت في العالم كله جلال وجمال، فما أبقت منه شيئًا إلا وقد سرت فيه بعينها، ونشرت حكمها عليه، فصبغته ظاهرًا وباطنًا، ويؤيده قوله تعاليك ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، فعمت ما ظهر وما بطن، فصيرت الوجود كله رحمة بعينها لعينها، فما بقي إلا عين الرحمة الأحدية لقوة سلطانها بأعظم برهان وأدل دليل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] بعين الأحدية في مظاهر الوحدة والواحدية: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله﴾ [آل عمران:١٥٤]؛ فافهم.

تجلي الفردية: اعلم أن الوجود كله مبني على الفردية الأولية حق وخلق ونفخ، وهو النفس الرحماني» الذي به حصلت الرحمة للوجود كله من حيث الإيجاد والإمداد، ثم إن الفردية سرت في آدم وحُوي بالحركة الحبية حتى في بنيه، فلم تجد شيئًا من الأشياء إلا وهو من الفردية المثلثة وجد؛ ولهذا كان محمد ﷺ أول الأفراد الثلاث بالتنزيه والتشبيه والحركة الحبية، ثم حركة الأفلاك بالحركة الهَيولانية، ولهذا قال: «من رآني فقد رأى الحق»[(١)]؛ ولهذا

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٥٦٨)، مسلم (٤/ ١٧٧٥). معناه الظاهري: مَن رآني في المنام؛ فقد رأى الرؤيا الحقة الصادقة. وقد جاء في بعض الأحاديث: «فإن الشيطان لا يتمثَّل بي»؛ وذلك لأن الشيطان مظهر الاسم المضل بالفعل، وهو ﷺ مظهر الاسم الهادي بالفعل، فلا يظهر أحدهما في صورة الآخرة صونًا للحقائق، وضبطًا للمراتب. وأمَّا الله سبحانه وتعالى فهو وإن لم يكن له مثل، كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وذلك في مرتبة ذاته الأحدية؛ لكن له مظاهر من حيث أسمائه المختلفة، وصفاته المتفاوتة، ومن ذلك الاسم المضل الذي ظهر الشيطان بحقيقته فدلَّ على أن الشيطان ظهر في صورة الحق من حيث اسمه المضلّ، كما أن النبي ﷺ ظهر في صورة الحق من حيث اسمه الهادي.
فلله تعالى أن يتجلَّى بكل صورة من الصور الأسمائية من غير مزاحمة؛ لأن له الإحاطة التامة بالكل بالفعل.
وأمَّا الشيطان: فله الإحاطة بجزئيات الاسم المضلّ، بالفعل وبالاسم الهادي وجزئياته بالقوة.
وأمَّا النبي ﷺ: فله الإحاطة بجزئيات الاسم الهادي بالفعل، وبجزئيات الاسم المضل بالقوة؛ لأن له الاسم =

بدأ الأمر به وختم؛ لأنه من أمر الله، وهو النفس الرحماني الساري في جميع الوجود، تارة بالقوة، وتارة بالوجود الظاهر، فإذا تحققنا بالفردية رأيناها وترًا، فدخلت دخول تضمين في الواحد، فصح الوتر بركعة، فندبنا أعلم العلماء بالله للوتر، فقال ﷺ: **«أوتروا يا أهل القرآن؛ فإن الله وتر يحب الوتر»**(١)، فانظر إلى هذا النصح العظيم من هذا النبي الكريم الرءوف الرحيم.

تجلي الحق ﷻ في مراتب الوجود(٢): اعلم أن الحق ﷻ تجلى في مراتب الوجود بالأركان

الجامع؛ لكن فرق بين القوة والفعل؛ ولذا يُقال: إن النفس لأمَّارة بالسوء: أي بالفعل في المظاهر الجلالية، وبالقوة في المظاهر الجمالية، وإلا لما كانت الحقيقة الإنسانية أجمع الحقائق الكونية والإلهية، وكما أن الشيطان لا يتمثَّل بصورة النبي ﷺ وأن مَن رآه بهيئته الأصلية، فقد رآه في الصورة الخيالية المتصلة بصورته الحقيقية، فافهم جدًا، فكذا لا يتمثَّل في صور المظاهر الجمالية من أكامل الإنسان؛ لأنهم خلفاؤه ﷺ ونوابه، والخليفة لا يظهر إلا في صورة المستخلف، فمَن رأى واحدًا منهم بحليته الذاتية؛ فقد رآه تحقيقًا، وإن كان لا يدري المرء أنه ظهر للرائي؛ وذلك لأن ظهوره للرائي إنما هو بالواسطة: أي بالصورة الخيالية التي تحكم على الرائي في المنام أو الانسلاخ؛ لأنها هي الصورة البرزخية، وقلَّ مَن تفطَّن لهذا المقام من العارفين.

وأمَّا المعنى الحقيقي للحديث فهو: إن مَن رآه ﷺ في المنام، أو في اليقظة؛ فقد رأى الحق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى خلق آدم على صورته؛ وهو ﷺ أكمل أفراد آدم، فقد خلقه على صورته الحقيقية الأسمائية والصفاتية، فمَن رآه، وهو مظهر تام الحقائق جميع الأسماء والصفات؛ فقد رأى الحقيقة الإلهية متجلية بجميع الحقائق، وكذا مَن رأى خليفة من خلفائه ونوابه؛ فقد رآه؛ لأنه صورة من صورة الكلية؛ وبوساطة رؤيته رأى الله تعالى، فالله تعالى مرئي أبدًا في الصورة المحمَّدية الكلية الصورة الإنسانية؛ ولكن المحجوبين لا يرونه في عين رؤيتهم؛ لاحتجابهم بأنفسهم عنه، ولو كُوشفوا عن حقائقهم لرأوا أن حقائقهم عين الحقيقة المحمَّدية، ولو من وجه الجزئية، كما أن الحقيقة المحمَّدية عين الحقيقة الإلهية من وجه الكلية؛ لأن لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، فالله تعالى ظاهر لأُولي الأبصار، باطن عن أعين الأغيار، وليس في البين إلا حجاب الغفلة.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) اعلم أن الحق ﷻ من حيث إطلاقه الذاتي وأن لا تعين غني عن الكثرة النسبية الأسمائية، منزه عن كل وصف ونعت واسم وحكم، لا يصح أن يُحكم عليه بحكم، ولا يُوصف بوصف، ولا يُسمى باسم، ولا يُضاف إليه شيء من وحدة أو وجوب أو مبدئية أو اقتضاء إيجاد أو صدور أثر أو تعلق علم بنفسه أو بغيره، لأن كل ذلك يقضي بالتعين والتقيد وينافي الإطلاق، والأسماء الإلهية في تلك الحضرة في الاستهلاك، كلون الشجرة مع أغصانها وأوراقها وأزهارها وثمارها في الاستهلاك في النواة، وكونها

عينها والوجود في هذه المرتبة عين حقيقته تعالى وذاته، وليس هو بأمر زائد عليها، وأما فيما عداها فأمر زائد على حقيقته، ويعبر عن تلك المرتبة بأن لا تعين وبغيب الغيب وبالغيب المطلق، وأن لا تعين سوى نفس التعين، وهو مفتاح حضرة الأسماء، وأول مرتبة من مراتب الظهور، وهو بالنسبة إلى الغيب المطلق ظاهر، وبالنسبة إلى المرتبة التي دونه باطن، والنسبة التي بين أن لا تعين وبين التعين الأول التي لا تقبل الامتياز عن أن لا تعين تُسمى بالعماء الذي هو النفس الرحماني، وتسمى بالأحدية أيضًا، وهي أول أحكام التعين الأول وأقربها نسبة إلى إطلاقه، فالعماء الذي هو نسبة بين التعين الأول وبين أن لا تعين له وجه يلي الإطلاق الغيبي، وهو النسبة الباقية منه في الغيب التي لا تقبل الانفصال عنه، ووجه يلي الظاهر، وهو اعتبار التعدد النسبي في التعقل في باطن التعين الأول وهو التعدد بالكثرة النسبية الباقية منه أيضًا، ووجه يلي الباطن وهو الإطلاق والغيب، ووجه يلي الظاهر وهو التعدد والتقيد، وتلك النسبة الباقية التي لا تقبل الانفصال عن الغيب عبارة عن الأمر الجامع بين الظاهر المقيد والباطن المطلق، وهي الحد الفاصل بين الشرطين أي شرط التعين الأول وأن لا تعين، يمنع الحد الفاصل من الامتزاج، والاتحاد بما انفصل عنه بعد التعين والامتياز، فهو معقول عيني لا تظهر له عين أصلاً كما هو حكم البرازخ فهو نسبة عدمية لا أمر وجودي، وهو الحقيقة الجامعة بين الشرطين التي هي مرتبة الإنسان بين مظهرية الذات المطلقة بإطلاق قابليته الأولى، وبين مظهرية الأسماء والصفات العليا بها في نشأته الكلية من الجمعية والاعتدال وبها في مظهريته من الحيطة والسعة والكمال، وهي أيضًا مرآة تظهر فيها حقيقة العبودة: أي عبودة العبد بالسراح والعروج إليها، وحقيقة السيادة بظهور الأسماء الإلهية، واسم تلك المرتبة بلسان الشرع «العماء». قال فيه رسول الله ﷺ في جواب السائل الذي سأله بقوله: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟: «**كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء**». ونعتها الأحدية، والأسماء والصفات المتعينة فيها كلها هي الأسماء والصفات الذاتية، والصورة المعقولة الحاصلة من مجموع تلك الأسماء المتقابلة وأحكامها، ومجموع الصفات والخواص اللازمة لها من حيث بطونها هي صورة الألوهية، وصورة الكثرة النسبية المعتدلة في النفس الرحماني الممتد من باطن التعين الأول الذي هو الغيب المطلق من جهة السفلي هي مرتبة الإمكان.

واعلم أن العماء أيضًا له خمس مراتب: أحدها: رتبة إجماله من باطن التعين الأول وهو أن لا تعين.

والثانية: مرتبة تعينه بالتعين الأول الذي هو أول مرتبة من مراتب الظهور.

والثالثة: اعتبار برزخيته في التعين الأول، وجمعيته بهويته بين التعين وبين أن لا تعين من حيث كونه عينهما.

والرابعة: مرتبة انبعاثه من التعين الأول، وتعينه بسائر المراتب الحرفية العينية. فإذا عرفت هذا، فاعلم أن المراد من مرتبة الذات الأحدية: هي المرتبة الأولى من مراتب العماء، وهي مرتبة إجماله في باطن التعين الأول، والغيب المطلق التي لا تقبل الانفصال عنه، فالأحدية التي هي نعت العماء باعتبار إجمال العماء في الغيب المطلق وعدم انفصاله عنه تكون أحدية ذاتية، وغيب الغيوب لا يصل إليه إدراك أحد؛ لأنه لا وجود لأحد في الأحدية الذاتية لأنه في غيب الغيوب؛ فحينئذٍ لا يجوز أن يراد بمرتبة الذات الأحدية

أن لا تعين ومرتبة غيب الغيب لأن الأحدية نسبة، وأن لا تعين غني عن النسبة والنعت، بل الأحدية أول أحكام التعين الأول وأقربها نسبة إلى إطلاقه، فلهذا يقال لها: الأحدية الذاتية؛ لأن الأحدية وصف التعين، لا وصف المطلق المتعين إذ لا اسم للمطلق ولا وصف، والأحدية التي هي نعت العماء ما هي غيب الغيوب ولا الغيب المطلق إلاّ على الوجه الذي ذكرناه؛ لأن العماء برزخ بين أن لا تعين الذي هو غيب الغيوب، وبين التعين الأول فافهم.

واعلم أن الحق تعالى قد شهد ذاته بذاته في ذاته، وشهد أسمائه معدومة الحقائق، والأعيان مستهلكة الآثار والأحكام تحت أنوار الذات؛ لأن الأسماء لا تظهر أعيانها إلا في المظاهر الخلقية في الأكوان، وكانت الأكوان أيضًا مستهلكة في أنوار ذاته، فأراد أن يرى أعيان تلك الأسماء في مظهر جامع للأكوان، ومجلى شامل لجميع الأعيان، وتظهر الأسماء آثارها المخزونة في خزانتها، وأحكامها المكنونة في حقائقها وحضراتها، ويتجلى بالصورة الجمعية الأسماء في الجمع من ذلك الكون الجامع والمظهر الواسع، فتجلى بالنفس الرحماني الأنفس، والتجلي الذاتي الأقدس من أعلى رتب العماء حاويًا جمعية جميع الأسماء الوجوبية الفعلية المؤثرة في الطرف العالي منه، وجمعية جميع المظاهر الكونية الانفعالية المؤثرة في الطرف السافل منه؛ لأن الأسماء لا تظهر أعيانها ولا آثارها إلاّ في المظاهر، والمظاهر لا توجد ولا تتقدم إلاّ بالأسماء، فلما امتاز الاسم الظاهر في رتبة العماء من باطن التعين الأول الذي هو الغيب المطلق حاملاً كثرة الصورة النسبية المعقولة فيه المعبر عنها بالإمكان، وانفصل معه سائر توابعه ولوازمه المضافة إليها، وتعين في رتبة التعين الأول الذي هو بمنزلة الهمزة التي تعين النفس الإنساني أولاً في رتبة القلب بها، وظهر الحق بنفسه في نفسه في مرتبة ظاهريته الأولى، وظهرت ذاته له بأسمائه الذاتية ونسبها الأصلية الظاهر تعينها بحكم المقام الأحدي الذاتي والتعين الجمعي الذي هو التعين الأول؛ فأوجب التعدد النسبي في تلك الكثرة النسبية المعقولة، والنسب الأصلية التعدد العيني؛ فانبعث التجلي الثاني باسم الظاهر في مرتبة التعين الأول على النسب المعقولة فيه؛ فظهرت النسب الأصلية والصور المعقولة الأسماء في هذا التجلي، وتميزت الأسماء بعضها عن بعض، وظهرت فيه من الطرف السافل النسب الخلقية والصور الإمكانية المظهرية المعقولة أيضًا في ذلك النفس، فظهرت الذات في ثاني رتبتها وهو التعين الثاني، وظهر في ذلك النفس العَمائي الممتد من أعلى رتب العماء على هذا التعين الثاني صورة عمائين من غير انفصال أحدهما عن الآخر، أحدهما: عماء الرب، وهو الذي يحتوي على الأسماء الإلهية، وثانيها: عماء المربوب، وهو الذي يحتوي على حقائق المظاهر الخلقية فلا يخرج شيء من الأسماء الإلهية الوجوبية، والمظاهر الخلقية الإمكانية عن النفس الرحماني والعماء لتعينها في المادة العمائية، وتعين النفس الرحماني فيها بحسب حقائقها، فإذًا النفس الرحماني من أن لا تعين إلى مرتبة التعين الأول تعينت فيه أولاً الصور العمائية الأسمائية المختصة بحضرة العماء والتعين الأول، ثم الصور العلمية والصور الأسمائية المختصة بالواحدية، ثم العنصر الأعظم، ثم الأرواح المهيمنية في الطبقة الأولى كالنون وغيره، وفي الطبقة الثانية كالعقل الأول، ثم النفس، ثم الطبيعة، ثم الهباء، ثم الجسم، ثم الكل، ثم مرتبة العرش الذي هو أول عالم الخلق، ثم الكرسي، ثم الفلك الأطلس، ثم فلك المنازل، ثم أرض، ثم ماء وفوقه كرة الهواء، ثم كرة الأثير، ثم فوقه السماء الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة،

ثم السادسة، ثم السابعة، ثم المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملائكة، ثم الجن، ثم الإنسان وهذا الترتيب في الإيجاد والمراتب؛ فيتعين النفس الرحماني، والتجلي العام الوجداني على هذا الترتيب.

وأما ترتيب مراتب الوجود بالنسبة إلى التجلي العام الوجودي، والنفس الرحماني الممتد من أن لا تعين على العماء مرتبة التعين الأول، ثم التعين الثاني، ثم العنصر الأعظم، ثم المهيمنة من الطبيعة الأولى، ثم العقل الأول، ثم على مرتبة النفس، ثم الطبيعة، ثم الهباء، ثم الجسم، ثم الشكل، ثم على مرتبة العرش والكرسي والفلك الأطلس وفلك المنازل، ثم على مرتبة السماوات السبع وأفلاكها، ثم كرة الأثير، ثم كرة الهواء، ثم كرة الماء، ثم كرة التراب، ثم المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم على رتبة الإنسان، ثم على رتبة الكلية الكمالية التي هي آخر المراتب الوجودية الإلهية وأكملها وأجمعها، وهذا هو ترتيب السلسلة الوجودية؛ فإذا عرفت هذا، فاعلم أن النفس الرحماني، والتجلي الذاتي الوحداني المنبسط من أن لا تعين، والغيب المطلق على العماء مرتبة التعين الأول، ثم على سائر المراتب الإلهية والكونية كان متضمنًا للأسماء الإلهية، والجمعية الذاتية في الطرف العالي، وكان متضمنًا للصورة المحمدية الكمالية، وصور الحقائق الإمكانية في الطرف السافل؛ فلهذا انفتحت فيه الصور الأسمائية في الحضرات الإلهية، وانفتحت فيه الصور الخلقية، ثم مراتب العوالم الكونية؛ فإذا بلغ إلى آخر المراتب الوجودية وهي رتبة الإنسان الكامل ظهر وتعين فيها بما فيه من الصور الجمعية الإلهية، وبما فيه من الصورة المظهرية الإمكانية من غير انفكاك إحداهما عن الأخرى؛ فحينئذ إذا نظرت إلى نفس المراتب.

قلت: مراتب الوجود في الإيجاد: أي في إيجادها بالنفس الرحماني، والتجلي الوحداني، وإذا نظرت إلى الطرف العالي من النفس الرحماني الممتد على مراتب الوجود لإيجاد الصورة الكلية الكمالية المحمدية.

قلت: مراتب الوجود الحق المتجلي والمتنزل، وإذا نظرت على الطرف السافل وجهة الإمكان.

قلت: مراتب محمد ﷺ من حيث عبوديته وجهة الإمكانية، وإذا نظرت إلى الصورة الكلية المحمدية؛ فنقول في حقها: هي حق باعتبار النفس العالي، وهي خلق باعتبار الطرف السافل منه، فتكون مراتب الوجود بالنسبة إلى تلك الصورة المحمدية: أي تكون مراتب لتلك الصورة الجمعية الكلية المحمدية التي ظهرت في النفس الرحماني المتعين فيها الصورة الأسمائية الإلهية بآثارها، وأحكامها المخزونة في حقائقها، والصورة المظهرية الخلقية الجامعة لما في حضرة الإمكان من خواص المظاهر وزبدها ونتائجها؛ فحينئذ تظهر صور الأسماء الإلهية، وصور المظاهر الخلقية في ذلك النفس الرحماني والألف الممتد العمائي، ولكن تعين صور الأسماء الإلهية في الحضرات الإلهية، وتعين صور المظاهر في العوالم الخلقية، فكان النفس الرحماني العمائي بعد تعينه بالتعين الأول بالنسبة إلى تميز الأشياء بحقائقها وتجليها بحسب مظاهرها وظهور المظاهر فيه أو في التجليات بحسبها محل ظهور الأسماء الإلهية ومحل ظهور مظاهرها الخلقية؛ فحينئذ لا تظهر صورة الأسماء والمظاهر خارج النفس الرحماني الذي هو عين العماء في الطرف الذي يلي الكثرة الأسمائية والكثرة الخلقية وإن كان العماء الحد والبرزخ الحائل بين التعين الأول وأن لا تعين، لأن العماء في مرتبة التعين الأول برزخ أيضًا بين باطن التعين الأول الذي هو ألا تعين، وبين ظاهره الذي هو التعدد الأسمائي والصفاتي الذي فيه كثرة الصور الخلقية، فإذا عرفت هذا عرفت عزة العماء الذي هو الحد الفاصل بين التعين وبين أن لا تعين والتعين الأول عن كثرة الأسماء،

الأربعة والشئون الأربعة، فأول الأركان: الماء وآخرها التراب، والماء أصل العناصر، نزوله من علو إلى السفل من السماء إلى الأرض، إشارة إلى أنه عين الطرفين من العبد والمعبود، وهما الحق والخلق علوي وسفلي، سماء وأرض، فمن نظر إلى السماء، فهو في علو، ومن نظر إلى الأرض، فهو في سفل من الطبائع، فانظر إلى الأصل تجد الفرع مرتبط به ارتباط افتقار؛ لأن منه حياته، وذلك بالارتباط، ألا ترى إلى أن ظل الشخص مرتبط به لا ينفك عنه ما دام

= وعرفت توحد الأسماء في النفس الرحماني العمائي في مرتبة التعين الأول وكون كل واحد منهما عين الآخر، ولا امتياز بينهما، ولا كثرة فيها إلا بالنسبة، وعرفت عند امتداد النفس الرحماني من التعين الأول على حضرة الوحدانية والحضرات الإلهية الأسمائية انفتاح الصور الأسمائية في الطرف العالي منه، وعرفت انفتاح الصور الإمكانية المظهرية فيه في الطرف السافل منه مثل العنصر الأعظم والنون واللوح والقلم وغيرهم، وشاهدت انقسام العماء إلى عمائين: عماء الرب للأسماء الإلهية، وعماء المربوب للمظاهر الخلقية، لإحاطة النفس الرحماني بجميع التعينات الأسمائية، والصور الخلقية، وتعينها في كل صورة منها بحسب حقيقتها، ولا يلزم من قول النبي ﷺ في جواب السائل الذي سأل عنه، وقال: أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ «كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء». وكون الرب في العماء بالنسبة إلى الوحدانية والأحدية قبل خلق الخلق، عدم شمول النفس الرحماني العماء وإحاطته بجميع الصور في حضرة الإمكان، لأنها لما تعينت إلاَّ في ذلك النفس الرحماني به، بل يلزم منه انقسام النفس الرحماني العمائي إلى عمائين: عماء الرب، الذي ما فوقه هواء، وما تحته هواء الذي لا نعت له، وهو غير محدود بالجهات، وعماء المربوب، الذي يقبل الصفة والجهة. وإلى هذا المعنى أشار الشيخ ﷺ في «الفتوحات» في المسائل المذكورة بقوله: بحر العماء برزخ بين الحق والخلق، في هذا البحر اتصف الممكن بعالم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا، واتصف الحق بالتعجب والتبشبش والضحك والفرح وأكثر النعوت الكونية، فَرُدْ مَالَه وخذ مالك، فله النـزول، ولنا العروج؛ انتهى كلامه. أي: إذا نـزل بالتجلي إلى الطرف السافل من العماء، وهو محل النعوت الخلقية والصفات الكونية، يتصف فيه بتلك الصفات الخلقية بحسب النـزول والتجلي، وإذا عرج العارف المتروض إلى الطرف العالي منه ظهرت فيه الأسماء الإلهية لاضمحلال الصفات الخلقية فيه فافهم. ثم اعلم أن العماء الذي قال في حقه ﷺ: «ما فوقه هواء، وما تحته هواء» يشمل المراتب الثلاث من مراتب العماء، ولكن الأظهر والأقرب من جهة الخلق مرتبة العماء في الواحدية التي تتميز فيها الأسماء التي هي الأرباب بعضها عن بعض؛ فحينئذ يكون الرب قبل تجليه بالتجلي الوجودي العام وقبل ظهور ربوبيته في المظاهر الخلقية في الواحدية في التميز الأسمائي، ويكون قبل تنـزل النفس الرحماني إلى الواحدية في الأحدية في الوحدة الذاتية التي لا تميز فيها بين الأسماء إلا بالنسبة، وقبل تنـزله إلى الحضرة الأحدية يكون في الغيب المطلق وأن لا تعين فتحقق، ﴿وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور:٤٦]. انظر: [القرى الروحي الممدود شرح نظم مراتب الوجود الجيلي، للغرس الوفائي ص ٢٨] بتحقيقنا.

موجودًا؛ فالأصل محسوس مشهود، والظل معقول متوهم عند أهل الكشف والوجود، فمن نظر العين بها نظر، ومن نظرها به لم ينظر، ومن لم يرها بحالٍ فهو محجوب به، فاختر أي مرتبة تكون أنت بها؛ فأنت بها، فلا تغفل، فإذا رأيت له به عرفته من جانب الطور الأيمن، فاسجد تحت العرش حتى تسمع الخطاب من فوق طور المناجاة: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤] ، فهنالك نفح المعرفة ولكن بجبل عرفة المعروف بالحج كما قال القائل: «الحج عرفة»[1]، فإذا سمعت المحدثة لحديثها أجابت من دعاها بـلبيك وسعديك بنا لا بغيرنا، فتنظر ليلة القدر؛ ولكن بعد السجود المعهود يصح اللقاء بدار البقاء ويزول العناء والشقاء وينتصر السلطان على جنود النفس وتزخرف الجنة لأهلها بالحور والولدان، وتملأ الشأن بهذه الواردات الإلهية في الفردوس الأعلى بلذيذ المناجاة والمشاهدات تجليه بالصفات والنعوت تجليه الجمالي صفة والجلال نعت، فالأول ما يلائم الطبع، والثاني بعكسه، ولكل منهما آداب بحسب ما يليق بالمقام.

فالبسط آدابه: الحمد والشكر والاستغفار والرضا والخشية.

والقبض آدابه: الصبر والرضا والاستغفار والتضرع والصمت والسكون لما جرى به الحكم والمقدور، ثم إنك بعد ذلك كله تسلم الأمر لصاحبه، وكذلك الوجود كله وتتحقق بلا حول ولا قوة إلا بالله تكن محمدي المقام، ثم تغيب بوجودك فيه بالكلية، فيبقى هو بلا أنت فيصير الحكم له فيك به فهنالك الأحدية عرفت بمرتبتها ورجعت بها إليها فثبت الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا، واندرج الجمال في الجلال؛ لأنه الأصل فاحذره كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

واعلم أن الجمال والجلال بحكم القبضتين، وهما اليدان الذي خلق الله آدم بهما وهما يدان الكمال لآدم وبنيه ومحتدهما: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فنزَّه وشبَّه؛ فجاز المرتبتين؛ فكمل له الأمر بخلاف من استعبده العقل، فهو في التنزيه فحسب وهو نصف المعرفة وحرم من الكمال بالمنازعة والجدال والفرح بالمحال والتوهم والخيال، فكل أوقاته ضلال، وما شم رائحة التوحيد وعقله بالفكر لا يفيد.

تجلي الفعل: الفعل تابع الوجود لا يصح الفعل إلا من الوجود الحقيقي.

وأما المجازي فعله عارية والحكم لله في كل شيء قال تعالى: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ

---

(١) رواه الترمذي (٣/ ٢٣٧)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٣).

بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود:٥٦] فهو آخذ بنواصينا ومشينا على حسب مراده وهو الفعَّال لما يريد؛ فالفعل ينسب إلى الله خلقًا وإيجادًا، وإلينا إضافة وإسنادًا، وهو تابع للوجود في كل حال.

فمن نسب إليه فعل بدون الله كان شريكًا له بالوجود، وهذا شِركٌ خفيّ بل وجليّ، فاحذره؛ ولكن من الأدب ننسب المحمود لله والمذموم لنا وهذا حكم الحقيقة.

وأما الشريعة فبالحدود: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق:١] وهذا لأجل انتظام الأمر مع شهود الفعل للفعَّال لما يريد، وأما من يشهد غير ذلك، فعليه البيان أن له وجود مع الله، والنبي ﷺ يقول: «كان الله ولا شيء معه».

قال الجنيد: «وهو الآن على ما عليه كان»؛ فكان حرف وجودي مستمر الوجود، قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٩٦] ولم يزل.

وانظر إلى تأييد قول الشاعر لبيد من النبي ﷺ: «إن أفضل كلمة قالها شاعر كلمة لبيد:

«أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ»[1].

والباطل زهوق، وهو من سوى الله، فهو ضلال، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾ [يونس:٣٢] .

وقال تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وليس الفعل إلا العمل.

وانظر وتدبر قوله ﷻ لنبيه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، فنفى الرمي عن نبيه أولًا، ثم أثبت له الرمي ثانيًا ثم استدرك وأخبر أن الرمي لله ثالثًا، فعلمنا أن الفعل لله وحده.

ثم قال الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧] فنفى الفعل عن غيره مطلقًا، وأثبت الفعل له مطلقًا فأي حجة تبقى لمن لا يقول بوحدة الفعل لله، وما ذاك إلا من الجهل والحجاب الذي أطمس البصيرة؛ فإن قلت: إنما نرى الفعل في الظاهر إلا من العبد سواء كان خيرًا أو شرًّا، قلنا له: صدقت؛ ولكن ذلك العبد آلة بين يديه يحركه كيف يشاء؛ فهو كالقلم بين يدي الكاتب.

قال عارف عصره سيدي عبد الكريم الجبلي -قدس سره- فيما أشرنا إليه:

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٣٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧٦٨).

أَراني كَـــالآلاتِ وَهـــوَ مُحَرِّكـــي أَنـــا قَلَـــمٌ وَالاقتِـــدارُ الأَصـــابعُ

وَلَـــستُ بِجَـــبرِيٍّ وَلَكِـــن مُـــشاهِد فِعـــالُ مُريـــدٍ مـــا لَـــهُ مَـــن يُـــدافِعُ

فإن قلت: ما نرى المحرك.

قلت: البراهين القاطعة والدلائل الواضحة في الكتاب والسنة دلَّت على ما قلناه، والإيمان بذلك واجب إن كنت مؤمنًا.

أما في الكتاب ما يدل على وحدة الوجود قوله ﷻ: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، فذكر وحدة الهوية في كثرة الوجود.

وقال تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[البقرة:١١٥] فذكر جميع الأينيات، وجهه، ثم تمم للبيان، فقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

ومن السنة في الحديث القدسي الصحيح: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**.. إلى آخره»[1] فذكر أن هُويته عين قوى العبد جوارحها، فالعبد غيب في وجود سيده والفعل لصاحب الوجود.

فإن قلت: عطلت أحكام الشريعة، فماذا نفعل فيمن يستحق الحد بفعله.

قلنا: حكم الشريعة لم تبطل لأجل اتباعه ﷺ ونطيعه فيما أمر به من الأحكام ، ولكن مع شهود الفعل لله وحده ليلّا نقع في الشرك المنهي عنه.

قال سيدي عمر بن الفارض -قدس سره-:

وكُـلُّ الـذي شـاهدْتُهُ فِعْـلُ واحِـدٍ بمُفْـرَدِهِ لكـن بحُجْـبِ الأَكِنَّـة

إذا مـــا أزال الـــسِّتْرَ لم تـــرَ غـــيرَهُ ولم يَبْـقَ بالاشـكالِ إشـكالُ ريبـة

ولولا خوف الإطالة لذكرنا دلائل كثيرة وأقاويل لم تحصى على وحدة الفعل وفي هذا القدر كفاية ﴿وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران:١٣].

تجلي الأسماء: تجلي سائر الأسماء من الاسم الأعظم المشعر بالجمع الأحدي؛ لكونها له بلا مشاركة لاسم من الأسماء؛ ولكن باسمه البديع تميزت الأسماء من وجه، ودلت على المسمى من وجه الباطن.

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٣٤٨).

وفي الظاهر كل اسم لما سيق له من المعنى كالأول والآخر والظاهر والباطن، فليس المعز كالمذل وليس العفو كالمنتقم فليس تجلي الأسماء سوى المسمى بتعين المراتب برفع الدرجات؛ ولهذا قال الله: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر:١٥] ولم يقل رفيع الدرجة، وما تجلى بها الإله فحسب، فهو المتجلي والمتجلي له ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١] منه له به، فتجلى آدم راجع إليه؛ كذا تجليه بالعلم له منه فهو المتجلي والمتجلى له والعالم والمعلم والمتعلم، ولهذا ظهرت من الأسماء أسماء بآدم والطبيعة ما زادت ولا نقصت كتجلي الحروف من الألف في مراتبها من الحروف الجسمانية والأعداد الروحانية فكل حرف له خاصية من الطبيعة والعمل لم يكن في الآخر؛ فسبحان من أودع الأسرار في الحروف الظلمانية والنورانية، وكل حرف له معان ملكوتية قائمة به، وهو عينها لا غير والسلام.

ونختم هذه الرسالة بما هو مطلوب من تفسير قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٥][1].

---

(١) للفائدة نذكر تفسير وشرح الشيخ روزبهان لهذه الآية المباركة: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ إن الله ﷻ أوجد الكون من العرش إلى الثرى بالكاف والنون وكان بين الكاف والنون مظلمًا بظلمة العدم محجوبًا عن نور القدم؛ لأنه معلولة بعلة الحدث، ولم ينكشف الكون هناك نور الكاف، والنون فبقي كمشكاة بلا سراج، فجعل الكاف قنديلاً، والنون فتيلة، وجعل في القنديل دُهن زيت فعله الخاص، وأبقاه بهيئته ما شاء ثم أسرج القنديل عند ظهور أنوار صفاته بنور الصفة، فأضاء الكون بنور الصفة، ثم وضع القنديل في زجاجة فعله العلم، ووضع زجاجة الفعل في الكون، ثم نوَّر الكون بعد تنويره بنور الصفات بأنوار الذات حتى يكون الكون كمشكاة منورة بمصباح الصفة التي معدنها الذات؛ فأضاء نور الذات في الصفة، وأضاء نور الصفة في نور فعله الخاص، وأضاء نور فعله الخاص في قنديل الكاف والنون، وأضاء نور الكاف والنون زجاجة فعله العام، وأضاء نور فعله العام في مشكاة الكون؛ فإذا رأيت المشكاة رأيت نور الكاف والنون، وإذا رأيت نور الكاف والنون رأيت نور فعله الخاص الذي هو غني بقوله: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ مباركة إذ هي أصلها مصدر الصفة التي أصلها الذات المنـزه عن البداية والنهاية: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا من شرق ظهور الكون من العدم، ولا من غرب عدم الكون عند القدم: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ﴾ قبل أن يصل إليه نور الصفات؛ لأنها صدرت من الصفات، فوصل نور الصفات إلى نور الفعل الخاص، وصار نورًا كقوله: ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ

﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾، وإذا رأيت نور هذه الشجرة رأيت نور الصفة، وإذا رأيت نور الصفة رأيت نور الذات، وإذا رأيت نور الذات رأيت عين العين، وإذا رأيت الصفات رأيت العين، وإذا رأيت الفعل رأيت عين الجمع، وإذا رأيت عين الجمع رأيت الكون مرآة الفعل يظهر منها أنوار الذات والصفات لمن له استعداد النظر إلى مشاهدة القدم بنعت الاصطفائية الأزلية، وذلك قوله ﷻ: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ حتى تعرف بهذا المثال ظهور نعوت القدم في مرآة الكون لأهل الكرم من العارفين، قال الله: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ وهو باختصاصهم عليهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ عليم بكل مثل وعبر وبرهان وسلطان. وأيضًا فيه إشارة أخرى في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أراد بالسماوات والأرض صورة المؤمن رأسه السماوات وبدنه الأرض، وهو بجلاله وقدره نور هذه السماوات والأرض، إذ زين الرأس بنور السمع والبصر والشم والذوق والبيان في اللسان؛ فنور العين كنور الشمس والقمر، ونور الأذنين كنور الزهرة والمشترى، ونور الفم والأنف كنور المريخ وزحل ونور اللسان كنور العطارد وهذه السيارات النيرات تسري في بروج الرأس ونور أرض البدن الجوارح والأعضاء والعضلات واللحم والدم والشعرات وعظامها الجبال، وترى أنور الله لهذه السماوات والأرضين منورة بنور فعله، وفعله منوَّر بنور أسمائه، وأسماؤه منورة بنور صفاته، ونور صفاته منور بنور ذاته، وذاته نور الكل إذا الكل قائم بذاته، فنور ذاته ونور صفاته لا يضاهى الأنوار؛ لأن نوره منـزه عن المشابهة بالأنوار؛ فمن نوره الشجر والثمر، ومن نوره الصدف والجوهر، ومن نوره الذهب والفضة، ومن نوره الدر والياقوت، ومن نوره العرش والكرسي والجنة وما فيها، ومن نوره السماوات والأرض، ومن نوره الأرواح والأشباح، ومن نوره العقل والقلوب، ومن نوره تنورت هذه النيرات، وأضاءت هذه الآيات نور قدرته زينها بالتركيب، ونور علمه نوَّرها بالانتظام، ونور سمعه نوَّرها بالقيام، ونور بصره زينها بأنوار العجائب، ونور إرادته زينها بالارتسام والبقاء، ونور كلامه زينها بالنماء والبركات، ونور حياته زينها بالحياة، ونور قدمه زينها بغرائب الألطاف، ونور بقائه زينها بالأرواح الفعلية والقدسية الفطرية، ونور ذاته زينها بالوجود ﷻ المنـزه بجلاله أوجد الكون بنور القدم وأنوره عن ظلمة العدم، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ صدر العارف كوة فعله ومشكاة أمره، وروح العارف قنديل قدرته، وفتيلة قنديله عقله الغريزي، وفطرته الفعلي، واستعداده الروحاني، ودهنه المعرفة، وقلبه زجاجة المشيئة، ومصباحه أنوار الصفة القديمة المنـزهة عن مباشرة الأكوان والحدثان والحلول في الزمان والمكان، أسرج بمصباح صفاته قنديل الروح وفتيلة العقل، وزاد نور المصباح من نور الذات؛ إذ الذات والصفات مكشوفان لها في جميع الأوقات بنعت السرمدية، ولو امتنع أنوارها عنها انطفأ مصباحها، ولم يكن ناظرة إلى الغيب، وأمد المصباح بدهن معرفته ذلك، وتلك الشجرة المباركة منابتها العقل الملكوتي، وصباغها الحكمة الجبروتية، وهي في جميع الأنفاس على مقابلة شمس الألوهية لا يقع عليها ظلال غدوة شرق القدم، ولا ظلال عشية غرب الفناء في أرض مشرق المشاهدة منورة بجمال شمس القدم والبقاء؛ لذلك نفى علة الحجاب بالحدثان بقوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ وتلك المعرفة التي هي الشجرة المباركة يكاد دهن نورها يضيء بنور الفعل.

قيل: إن يصل إليها نور الصفة، قال تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، فلما وصل نور الصفة إلى

نور المعرفة والعقل الملكوتي، ونور الفعل يضيء بنور الله، ويبصر الله بالله لا بغير الله؛ قال تعالى: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ مثل نور صفاته بالمصباح، وشبَّه الروح بالقنديل وشبَّه القلب بالمشكاة؛ لأن الروح في القلب والنور في الروح، والمعرفة دهن قنديل الروح، وتلك الكوة هي القلب، والقلب في الصدر لا منفذ إليها لرياح القهر والشقاوة، إذ القلب في أصبع الصفة يقلبها كيف يشاء، والروح في يمين القدرة. قال ﷺ: «القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء» وقال: «الأرواح في يمين الرحمن»؛ فكيف ينطفئ هذا المصباح الذي نوره من نور الأزل، وضياؤه من ضياء الأبد؟ ثم وصف الروح، وشبَّه الزجاجة قنديلها في مشكاة القلب بالكوكب الدري الذي قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ إذ هي انقدحت من درر الجلال والجمال، وأعلمنا أن ذلك المصباح في تلك الزجاجة لا ينطفئ أبدًا؛ لأن المصباح إذا كان في تحت زجاجة لا تؤثر فيه الرياح لعواصف إذ لا سبيل إلى نور المشاهدة في نور المعرفة والعقل، ولا يزول بتغاير الحدثان، ولا بالزلة والعصيان، فهذان النوران ينفدان في روازن أبراج الدماغ فينوران تلك السيارات المذكورة، ويتلألأن من مرآة سماء وجه العارف؛ ألا ترى كيف قال أبو يزيد ﷺ: يظهر نور الصمدية من بشرة وجه العارف، ومن هاهنا قال الحكماء: الأول صباحة الوجود من عكس الروح الناطقة هذا يفهم مما سنح لقلبي في إشارة الآية ما يوافق أقوال أئمتي وشيوخي.

قال ابن عطاء: زين الله السماوات باثني عشر برجًا وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وزين قلوب المؤمنين باثني عشرة خصلة الذهن والانتباه والشرح والعقل والمعرفة واليقين والفهم والبصيرة وحياة القلب والرجاء والخوف والحياء، فمادامت هذه البروج قائمة يكون العالم على النظام والسعة، وكذلك مادامت هذه الخصال في قلب العارف يكون فيه نور العارف، وحلاوة العبادة.

وقال ابن مسعود: مثل نور المؤمن كمشكاة في كوة، وهي التي لا منفذ لها أشار إلى صدر المؤمن ﴿ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾، وهو نور قلب المؤمن، و﴿ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ﴾ والزجاجة سر المؤمن.

قال النبي ﷺ: «إن لله أواني فأحبها إليه ما صفا ورق» ﴿ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾.

قال ابن عطاء: ﴿ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ : لا قرب فيها ولا بعد فيها؛ فالله من البعد قريب ومن القرب بعيد.

قال الواسطي: لا دنيائية ولا آخرة جذبها الله إلى قربه، وأكرمها بضيائها ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ ﴾ يكاد ضياء روحها يتوقد، ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ أي: ولو لم يدعه نبي ولا يسمع كتابًا ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ نور الهداية وافق نور الروح، ﴿ ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ اجتهاد المجتهدين، وطلب الطالبين، وهرب الهاربين.

وقال الجنيد: لا هي مائلة إلى الدنيا، ولا راغبة في الآخرة، ولكنها فانية الحظ من الأكوان.

قال أبو علي الجوزجاني في قوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ بدأ بالنور والنور البيان فالله نور السماوات ومن نور اليقين سراج يضيء في قلب المؤمن كما قال الله: ﴿ مَثَلُ نُورِهِۦ ﴾ يضيء في قلب المؤمن؛ لأن قلب المؤمن منور بالإيمان، فنور قلبه من نور الله بيانًا مبينًا؛ فهو ينظر بنور ربه إلى جميع ملكه، فيرى فيها بدائع صنعه، ويرى بنور المعرفة قدرة الله وسلطانه وأمره وملكه فيفتح له ذلك النور علم ما في السماوات السبع وما في الأرضين علمًا يقينًا، فيخضع له الملك، ومن نبَّه فيجب به كل شيء على ما يحب ويهوى مثل ذلك النور ﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ ﴾ فنفس

المؤمن بيت، وقلبه مثل قنديل، ومعرفته مثل السراج وفوه مثل الكوة، ولسانه مثل باب الكوة والقنديل معلق بباب الكوة إذا افتتح اللسان بها في القلب من الذكر استضاء المصباح من كونه إلى العرش، فالزجاجة هي التوفيق، وفتيلتها من الزهد، ودهنها من الرضا، وعلائقها من العقل، وهو قوله: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

وقال جعفر بن محمد: الأنوار تختلف أولها نور حفظ القلب، ثم نور الخوف، ثم نور الرجاء، ثم نور الحب، ثم نور التفكر، ثم نور اليقين، ثم نور التذكر، ثم النظر بنور العلم، ثم نور الحياء، ثم نور حلاوة الإيمان، ثم نور الإسلام، ثم نور الإحسان، ثم نور النعماء، ثم نور الفضل، ثم نور الآلاء، ثم نور الكرم، ثم نور العطف، ثم نور القلب، ثم نور الإحاطة، ثم نور الهيبة ثم نور الحيرة، ثم نور الحياة ثم نور الأنس، ثم نور الاستقامة، ثم نور الاستكانة، ثم نور الطمأنينة ثم نور العظمة، ثم نور الجلال، ثم نور القدوة، ثم نور الحول، ثم نور القوة، ثم نور الألوهية، ثم نور الوحدانية، ثم نور الفردانية، ثم نور الأبدية، ثم نور السرمدية، ثم نور الديمومية، ثم نور الأزلية، ثم نور البقائية، ثم نور الكلية، ثم نور الهوية، ولكل واحد من هذه الأنوار أهل وله حال ومحل كلها من أنوار الحق التي ذكر الله في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ولكل عبد من عبيده مشرب من نور هذه الأنوار، وربما كان حظه من نورين ومن ثلاث، ولا يتم هذه الأنوار لأحد إلا للمصطفى ﷺ؛ فإنه القائم مع الله بشروط تصحيح العبودية والمحبة فهو نور، وهو من ربه على نور.

قال بعضهم: ﴿نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الملائكة ونور الأرض الأولياء وقيل في قوله: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾: نور المشاهدة يغلب نور المتابعة وقيل: نور الجمع يعلو أنوار التفرقة، وقيل: نور الروح يهدي إلى السر شعاع الفردانية، ونور السر يهدي إلى القلب ضياء الوحدانية، ونور القلب يهدي إلى الصدر حقيقة الإيمان، ونور السر يهدي إلى الصدر آداب الإسلام؛ فإذا جاء نور الحقيقة غلب هذه الأنوار، وأفرد العارف عنها وأفناه فيها، وحصله في محل البقاء مع الحق متسمًا بسمته مترسمًا برسمه لا يكون للحدث عليها أثر بحال؛ لأن محل أنوار الأحوال هو القيام معها ورؤيتها، والسكون إليها، فإذا جاء نور الحقيقة أفناه عن الحظوظ والمشاهدات، وإذا غلب نور الحق خمدت الأنوار لها، وصارت الأحوال دهشًا في فناء، وفناءً في دهش؛ فهو بحصول اسم ورسم، وذهاب الحقيقة في عين الحق ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يخص الله بهذه الأنوار من سبقت له المشيئة فيه بالخصوصية ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ﴾ قال: العقلاء الألباء الذين خصوا بالفهم عنه، والرجوع إليه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في أن الذي خصهم بهذه الأنوار والمراتب من غير سابقة لا يتقرب إليه إلا بفضله وكرمه دون عدِّ التسبيح والصلاة عليه.

وقال الحسين ﷺ في قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ منور قلوبكم حتى عرفتم ووجدتم، وختم بقوله: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ فكان أول ابتدائه: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مبتدأ النعم ومنبعها والآخر خاتمته، فالأول فضل، والآخر مشيئة؛ فهو المجتبي لأوليائه الهادي لأصفيائه.

قال الحسين: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾: هو نور النور يهدي من يشاء بنوره إلى قدرته وبقدرته إلى غيبه، وبغيبه إلى قدمه وبقدمه إلى أزله وأبده، وبأزله وأبده إلى وحدانيته لا إله إلا هو المشهود شأنه بقدرته تقدس وتعالى يزيد من يشاء علمًا بتوحيده ووحدانيته وتنـزيهه وإجلال مقامه وتعظيم ربوبيته.

وقال الواسطي: إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد نوَّرها بصفاته وخاطبها بذاته، فاستضاءت واستنارت بنور قدسه؛ فأخبر عنها بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنه منور الأرواح بكمال نوره.

قال الخراز: من خلقه من نوره ثم أخرجه بنوره ثم أعاده في أكبر كبريائه من نور إذا تجلى له لم يحترق؛ لأنه يكون هو نورًا من نوره على نوره في نوره. قال الله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾.

قال الحسين: في الرأس نور الوحي، وفي العينين نور المناجاة وفي السمع نور اليقين، وفي اللسان نور البيان، وفي الصدر نور الإيمان، وفي الطبائع نور التسبيح فإذا التهب شيء من هذه الأنوار غلب على النور الآخر فأدخله في سلطانه، فإذا سكن عاد سلطان ذلك النور أوفر وأتم مما كان، فإذا التهبوا جميعًا صار نورًا على نور ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾.

قال الأستاذ في قوله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: كذلك هممهم لا تسكن شرقيًا، ولا غربيًا، ولا علويًا، ولا سفليًا، ولا جنيًا، ولا إنسيًا، ولا عرشيًا، ولا كرسيًا شطحت عن الأكوان، ولم تجد له سبيلاً إلى الحقيقة؛ لأن الحق منزه عن اللحوق والدرك، فبقيت عن الخلق منفصلة وبالحق غير متصلة، ويقال: نور المطالبة يحصل في القلب بدءًا فيحمل صاحبه على المحاسبة؛ فإذا نظر في ديوانه، وما أسلفه من عصيانه يحصل نور المعاينة فيعود على نفسه باللائمة، ويتجرع كاسات ندمه فيرتقي عن هذا باستدامة قصده، والتنقي عما كان عليه في أوقات فترته، فإذا استقام فيه كوشف بنور المراقبة فيعلم دائمًا أنه ﷻ مطلع عليه، وبعد هذا نور المحاصرة، وهو لوائح تبدو في السرائر ثم بعد ذلك نور المكاشفة، وذلك بتجلي الصفات ثم بعده أنوار المشاهدة؛ فيصير ليله نهارًا ونجومه أقمارًا، وأقماره بدورًا، وبدوره شموسًا، ليس في سماء أسرارهم سحاب، ولا في هوائها ضباب، ثم بعد هذا أنوار التوحيد، وعند ذلك يتحقق التجريد بخصائص التفريد، ثم ما لا يتناوله عبارة ولا يدركه إشارة في البيان عند ذلك خرس، والشواهد طمس، وشهود الغير عند ذلك محال؛ فعند ذلك ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير:١، ٢]، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير:٤] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:١] ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:١]، هذه كلها أقسام الكون، وما من العدم لهم صار إلى العدم القائم عنهم غيرهم، والكائن عنهم سواهم جلت الأحدية وعزت الصمدية، وتقدست الديمومية، وتنزهت الألوهية، ثم بيَّن ﷻ أن ذلك المصباح والمشكاة في بيت صورة العبد العارف، وذلك البيت صدره يتنور بنور الله، ونور قربه ليبصر سواكنه بنوره ما ينفتح فيه من أنوار ملكوته وجبروته [عرائس لبيان] بتحقيقنا.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة في اسم الله الأعظم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبه نستعين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

أقول -والله المستعان-: إن الاسم الأعظم نور ما أشرق في شيء من الأشياء إلا وقد أنارت بعد ظلمة ليل خفائها، وقد أشرق نور في الأشياء كلها بخلعة الوجود الذي امتنَّ بها على الأشياء كلها باسمه النور، فصارت سمواتها وأراضيها مشرقة باسمه النور الجامع لكل نور، وذلك من محتد الاسم الأعظم الأعز الأجل الأكبر المطلسم الفائض من النور الأقدس إلى النور المقدس، وهو العقل الأول إلى القلم الأعلى إلى اللوح المحفوظ إلى العرش، ثم إلى الكرسي إلى سدرة المنتهى إلى البيت المعمور إلى السبع سموات إلى بيت العزة إلى كعبة الأسرار، ومشرق الأنوار إلى السبع أراضي، ثم أحاط ذلك النور بالكون الجامع وهو الإنسان الكامل الكبير عرش الوجود باسمه المحيط بكل شيء كما قال ﷻ: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦].

ولما أنارت السموات والأرض بنوره الأقدس تنزل الأمر الرباني بين سموات المعاني وأراضي الوجود بحكم ما سبق من العلم الذي في أم الكتاب، وبما خطه القلم في اللوح المحفوظ بحركة القدرة التي تعلقت بها الإرادة التي شملها العلم القديم والإحاطة التي أحاطت بالأشياء كلها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، ثم ضرب المثل فقال: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور:٣٥]، المشكاة وجود الإنسان الكامل الذي انطوى فيه كل شيء بحكمه الحكيم الذي يضع كل شيء في مستحقه وهو أي: المشكاة، الكوة الذي نفخ فيها روح آدم عليه السلام بعد التسوية كما قال: وفي كوة آدم مصباح الملكوت المنفوخة فيه وهي الروح الإضافية إليه بقوله: ﴿من روحي﴾ وذلك المصباح المنور على آدم باسمه النور في زجاجة وهو القلب الذي وسع الحق ويتقلب معه في كل تجل، تجلي له فيه، ولهذا قال تعالى:

«لا يسعني سماء ولا أرض ويسعني قلب عبدي المؤمن»[1] والزجاجة المذكورة المشار إليها بالقلب الذي وسع الحق، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ وهو شمس الحقيقة لا غير الملكوتية النورانية المنورة باسمه النور القائمة بالكليات والجزئيات من المولدات الثلاث وقمر الأفلاك نوره جزء من مائه، جزء من نور الشمس، ونور الشمس جزء من مائة جزء من نور العرش، وهو جزء من أجزاء كثيرة من نور الله ﷻ وذلك الكوكب الدري: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وهي شجرة وجود الحق ﷻ المباركة كما قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان:٣] ونعتها بالليل بشدة خفاء التنزيل فيها كالعماء المذكور.

﴿زَيْتُونَةٍ﴾ أي: شجرة الزيتون مباركة وهي من شجرة الوجود لا غير وفي الإشارات ما يغني عن الكلم لا شرقية، فحسب ولا غربية فحسب أي: لا حقيقية من كل لوجوده ولا خلقية من كل الوجوه، بل تنزيه في تشبيه وتشبيه في تنزيه، كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]؛ فنزَّه وشبَّه في آية واحدة بل في نصف آية: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ بذاته؛ لأنها كل شيء عينًا وحقيقة، وضرب الأمثال لتفهم الأحوال، فافهم من هو، ومن أنت واضرب هو في أنت تعرف ما هنالك؛ وهذا بطريق الاختصار لا البسط في الكلام وفي هذا القدر الكفاية، والسلام.

والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٤٩٦)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٣١).

صادحة الأزل

تصنيف

القطب مصطفى بن كمال الدين البكري

المتوفى سنة ١١٦٢ هـ

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

صارخة الأزل

سيدي درحم ... الحروف

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك يا من منّ على قلوب العارفين بتنزلات سبوحيه
واختطف عقول قدوسيتهم بلوامع بروق روحيه واستبقى
حقايق لواهيتهم بلوامع تعينات صمديه ورقى بهم الى منازه
منازل عرشيه سطع سناها من جمالها الاسنى ثم دنى فتدلى به
فكان قاب قوسين او ادنى واتصل ونسل بلسان الغيب الذاتي
من منبع مجمع بحري القدم والحدثان والوحدان على نقطة دايرة
الطي والنشر الطيب النشر بين اهل العرفان زمزم المبدا والمعاد
والموسط العالي بالذال المنقلب عن الالف المنبسط الى عالم منا
الاشهاد الجامع الكلي بمراتب الاصدار والايراد حاجي الحمد
الرحماني في وصلة ختم الشفع الاسمى من تربيع دوار الامداد محمد
ملكوت الثاني العالي المتقدم دال انتهى تعين الاحد الصمد في الفرد
المكرم وعلى اله وصحبه وشيعته وحزبه ما زخر بحر الحقيقة من
ادم شفع الوتر وتفجرت ينابيع مدينة العلم بالذات من بابها
العلي المرتضى للقيام بعالم الخلق والامر دامت على الاصل الحقيقي
والجعل في مظهر العرشين الحسنين صلوات الله وتسليماته
وتحياته وبركاته اما بعد فلما لمع من تلقاء شجرة الوادي
المقدس بارق التوحيد وسطع لي من خلال افنان سدرة منتها
نشا لي البقعة المباركة بين التفريد والتاج قلبي من بطنان العرش
الاعلى في سبحات الجمال وارتاح سري بمعاينة النور الاقدس
معاناة الصور والاشكال واستدارت على مناطق نور الحق الوجود
الذاتي في عالم معاهد الاسما واستنارت لذي دياجي غيوب
الصفات من مشارق مشاهد المسمى وتعددت في تركيب كلها

اسبابه لانه العارف الذي اتسع للتنزل الرحماني جنابه وانفهق لبيبه
في بني الله بابه بل ربما اخذ نفس الانسان منشبهة سنة من الاكوان
ورقدة حسية عن الاعيان فلا يشعر الا وقد اشرق النور وارتفع
الستور واذهب سلطان الصباح عساكر الديجور وسرت الغواشي
حرقي ناموس العظمة على الاعيان بالتلاشي واهتز عرش الانسانية
ثم القضت دعايمه ثم انقضت مراسمه حتى ما يبقى من الانسان الا
ما كان يوم ونفخت فيه من روحي وحكم خلق ادم على صورة الرحمن
ثم ينصب عرش الجبروت ويكبر حدثان العظموت وتضطرب
بحار الجلال وتلاطم امواج عزة الملك المتعال ويتجلى الله سبحانه
وتعالى عن المثال ويسمع به عبده منه الا ذن الحسنى ويفهم له الشان
العظيم الشان ويتبع نادا اذا فاق لم تفارقه صبغة ذلك النور بل يبقى
معه لوايح البطون في الظهور وليرجع الى ما سبقت لاجله نفوذ
الرسالة ونمقت لمراسمه تلك الدلالة وذلك اجابة رسول صورة
العلوم الانسانية عن مسايله تدلت رقارف متقدما نها فيفيض
بامر الله في خلق الله حاكما وباسرار شريعة مورثه صلى الله عليه
وسلم عالما حاكما مبنيا على قواعد التجلي الذاتي اساسه وعلما مشرقا بنور
الاختصاص على الصدر الذي نبراسه سان الله تعالى من شوايب الابتداع
بكر دسا بعناية الله على اشرف او فناء الاتباع فان الله تعالى جعل
الشريعة الميزان الاعظم لكل عارف وما سواها بالنسبة الى حقيقة
هداها انما هو لوامع الزخارف والتجلي بالله تعالى منغمس في بحار الجمع
فالله سبحانه وتعالى له البصر والسمع كما شهد به الحديث ودل به
القديم على الحديث والى الله مرجع الامر كله مجمله ومفصله وصلى الله
وسلم على من تحقق بالنور الاعظم في اشرف منزله فكان ميتى ولا ظلاله .

ترجمة الشيخ المصنف

هو الشيخ العلاَّمة الفقيه الحجة الربَّاني سيدي الأستاذ الكبير الشهير صاحب الكشف والواحد المعدود بألف، كان مغترفًا من بحر الولاية، مقدمًا إلى غاية الفضل والنهاية، رطب اللسان بالتلاوة، صاحب العوارف والمعارف والتآليف والتحريرات، والآثار التي اشتهرت شرقًا وغربًا، وبعُدَ صيتها في الناس عجمًا وعربًا، أحد أفراد الزمان، وصناديد الأجلاء من العلماء الأعلام، والأولياء العِظام، العالم الأوحد:

أبو المعارف قطب الدين مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين الصديقي أبو المعارف البكري الدمشقي الصوفي الحنفي الشهير بالقطب البكري، وُلد سنة ١٠٩٩، وتُوفي بدمشق سنة ١١٦٢ اثنتين وستين ومائة وألف.

من مصنفاته:

- الاستغفارات (بتحقيقنا) مع شرحه للشيخ محمد المرصفي.
- الألفية الوفية للسادة الصوفية في التصوف.
- انتظار فتح الفرج واستمطار منح الفرج.
- بلوغ المرام في خلوتية الشام (بتحقيقنا).
- بهجة الأذكياء في التوسل بالمشهور من الأنبياء.
- الجواب الشافي واللباب الكافي.
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية.
- الحملة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية.
- الدر الثمين شرح مقاصد منهاج العابدين.
- الدر الفائق في الصلاة على خير الخلائق (بتحقيقنا) مع شرح علي المكي.
- ديوان الدوح والأدواح وعنوان الروح والأرواح.
- الذخيرة الماحية للآثام في الصلاة على خير الأنام.
- رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان.
- رسالة الصحبة التي أنتجتها الخدمة والمحبَّة (بتحقيقنا).
- رشحات صدح من مسبي العذار ونفحات مدح في نبي المختار.
- رشحات الوعد الإنجازي في الكلام على صلوات الرازي.
- رشحة الصفا في امتداح المصطفى ﷺ.

- رفع الستر والردا عن قول العارف أروم وقد طال المدا.
- الروضات العرشية على الصلوات المشيشية (بتحقيقنا).
- السيوف الحداد في الرد على أهل الزندقة والإلحاد (طبع بتحقيقنا).
- شوارق البارق المشام في التوسل بالأنبياء من المبدأ إلى الختام.
- صادحة الأزل (بتحقيقنا).
- الصراط القويم في ترجمة الشيخ عبد الكريم.
- الصلاة البرية في الصلاة على خير البرية.
- الضياء الشمسي على الفتح القدسي في مجلدين (تحت قيد التحقيق).
- طلبة الفقير المحتاج فيما يتوجه المتوجه ليلة المعراج.
- العدة العمدة المخلصة من الشدة.
- العرائس القدسية في الدسائس النفسية (بتحقيقنا).
- العقد الفريد في ترجمة الشيخ محمد سعيد.
- العقد المتلألئ على ورد العسالي.
- الموارد البهية في الحكم الإلهية (طبع بتحقيقنا).
- كروم عرش التهاني في شرح صلاة ابن مشيش الدَّاني. (بتحقيقنا).
- المدد البكري شرح صلاة سيدي محمد البكري. (بتحقيقنا).
- اللمحات الرافعات للتدهيش عن معاني صلوات ابن مشيش (بتحقيقنا).
- الهبات الأنوارية على الصلوات الأكبرية.
- شرح حزب النووي.
- شرح ورد الشعراني.
- الصمصامة الهندية في المقامة الهندية.
- الوصية الجلية للسالكين طريقة الخلوتية (بتحقيقنا).

وانظر ترجمته: هدية العارفين للبغدادي (١/ ٦٨٤)، وعجائب الآثار للجبرتي (١/ ١٦٥، ١٦٦)، وسلك الدرر للمرادي (٤/ ١٩١)، والأعلام للزركلي (٨/ ١٤١).



بسم الله الرحمن الرحيم

نُحمدك يا مَن منَّ على قلوب العارفين بتنـزُّلات سُبوحية، واختطف عقول نواسيتهم، بلوا مع بروق روحية، واستبقى حقائق لواهيتهم بجوامع تعيُّنات صَمدية، ورقى بهم إلى منارة منازل عرشية، سطع سلطان جمالها الأسنى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩].

ونُصلِّي ونسلِّم بلسان الغيب الذاتي من منبع مجمع بحري لقدم، والحدثان والوجدان على نقطة دائرة الطي، وبالبشر الطيب النشر بين أهل العِرفان.

ميم: المبدأ والميعاد، والوسط العالي بالذات، والمنقلب عن الألف، والمنبسط إلى عالم الأشهاد، الجامع الكلي بمراتب الإصدار والإيراد.

حاء: حقُّ الحمد الرحماني في وصلة.

حم: الشفيع الأسمى بتربيع أدوار الأمداد.

ميم: ملكوت غاية التالي للمقدَّم.

دال: انتهاء تعيُّن الأحد الصمد في العدد المكرَم[1].

---

(١) فائدة عظيمة: قال الشيخ شرف الدين الخليلي: حروف هذا الاسم وهو (محمد) خمسةٌ باعتبار اللفظ، فيؤخذ منه:

١-أركان الإسلام الخمس، «بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وصومِ رمضان، وحجِّ البيت لمن استطاع إليه سبيلا».

٢- والصلوات الخمس.

٣-وعدد أولي العزم الخمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى بن عمران، وعيسى ابن مريم، عليهم السلام أجمعين، ومحمد ﷺ.

٤-والحواس الخمس الظاهرة والباطنة بناءً على ثبوتها.

٥- وكذلك الأسماء الخمسة التي تقدَّمت في الرواية.

٦-وكل يدٍ فيها خمس أصابع، وكل رجلٍ كذلك.

٧-وأوَّل نصاب الإبل.

وأما حروفه الرسمية فهي أربعةٌ: فيؤخذ منها عدد:

١-الخلفاء الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

٢-ويؤخذ منها أيضًا عدد الأئمة الأربعة المجتهدين: الإمام الشافعي، والإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام أحمد-رضي الله عنهم- أجمعين.

ويؤخذ أيضًا عددهم من الدال؛ فهي بأربعةٍ، وهم أربعةٌ، وفيه إشارةٌ لطيفةٌ، ومنقبةٌ شريفةٌ، وهي أن ختام هذا الاسم العظيم الدال، وهي بأربعةٍ، كذلك ختم أمر هذه الأمة بأربعة أئمةٍ أعلامٍ، جعل الله عليهم مدار الإسلام، وعليهم الناس تعول في الأحكام، ولم يأتِ إمامٌ زائدٌ عليهم بحيث يصير له كما صار لها وللأئمة، لعله للإشارة إلى ذلك، كما أن الدال مدار الاسم وعليه حلُّها؛ إذ عليها يقف القارئ، كذلك هؤلاء الأئمة عليهم مدار الأمة، وعليهم يقفون بحيث لا ترى واحدًا من الأمة يتجاوزهم إلى غيرهم.

وأيضًا على الأول يؤخذ فائدتان جليلتان:

الأولى: أن كلَّ إمامٍ لم يخلُ اسمه من حرفٍ من هذه الكلمة؛ فالإمام الشافعي حوى جميع الحروف، والإمام أبو حنيفة أخذ الحاء في الكنية والميم الأولى في الاسم، والإمام مالك أخذ الميم الثانية، والإمام أحمد أخذ الدال، وهو ختام الاسم كما أنه ختام الأئمة، ولعلَّ الله جعل في ذلك إشارةً إلى تمام الأئمة، وأنه لا يزاد عليهم، فقسّمت هذه الكلمة عليهم قسمةً عادلةً، ولا يضرُّ في وجه المناسبة أن بعضهم زاد على بعضٍ في الحروف، فكما فازوا بالقيام بشريعته ودوَّنوها وقرَّروها ونقلوها إلى الناس فجزاهم الله خيرًا على فعلهم، جعل الله لهم زيادة خيرٍ، فكان عنوانًا لما ظهر لنا من السرِّ من حروف هذه الكلمة العظيمة التي لا توجد لأحدٍ قبله ﷺ، وتَمَّ له هذا الأمر على هذا الوجه، فكمَّل الله لهم الشرف والرفعة في جميع الوجود، فلله الحمد والمنَّة؛ حيث أنعم عليهم بأتمِّ النعمة، ونسأل الله أن يديمنا على اتِّباعهم ومحبَّتهم إلى يوم القيامة إدامة لزوم الدال إلى هذه الكلمة.

الثانية: هي أن أبا حنيفة خُصَّ من هذا الاسم بالحاء والميم، فالميم في الاسم، والحاء في الكنية، ومالكًا بالميم الأولى من الميمين المشدَّدتين، والشافعي بالميم الثانية منهما، وفيهما مناسبةٌ أخرى يدركها ذو البصيرة.

وأحمد بالدال، وقد وجدوا في الدنيا على هذا الترتيب، فأبو حنيفة أوَّل الأئمة وجود أوله الحرفان الأوَّلان منها، ومالك بعده وله الحرف الثالث منها، والشافعي بعده وله الميم الرابعة من الأحرف، وأحمد بعده وله الدال، وختم به اسمه إشارةً إلى أنه خاتم الأئمة.

ويؤخذ من ذلك عدد الجهات الأربع.

ويؤخذ منه عدد أئمة الطريق المعوَّل عليهم بميلهم في التحقيق وهم:

سيدي عبد القادر الجيليُّ، وسيدي أحمد البدويُّ، وسيدي إبراهيم الدسوقيُّ، وسيدي أحمد الرفاعيُّ، وأيضًا هم لم يخلوا من بركة الاسم بما وجد في أسمائهم منه.

ويؤخذ من ذلك عدد الأقطاب الذين يدور عليهم العالم؛ فإنهم أربعة: فهو ﷺ قطب الأقطاب وغوث الأنجاب، وعليه مدار العوالم والأسرار، ومنه أيضًا أضاءت إلى الخلق الأنوار، وهذه التي هو أصلٌ لها عليها مدار الليل والنهار، فانظر إن كنت ذا بصيرةٍ الفرق بين المدارين؟.

وإذا ضممت حروفه الرسميَّة إلى اللفظيَّة كان الحاصل تسعةً، فيؤخذ منه عدد:

=

١-السماوات السبع والعرش والكرسي؛ فهي تسعةٌ.

٢-وعدد الأرضين السبعة والماء والظلمة؛ فهي تسعةٌ.

٣-وعدد أصول المسائل في الفرائض على ما هو المشهور.

٤-وعدد أصول الأعداد والآحاد والعشرات والمئات.

٥-وكذلك الأعداد الفرعيَّة التي هي الألوف وعشراتها ومئاتها؛ ففي كلٍّ منها تسعة أعدادٍ.

٦-وعدد الأعراض التسعة، وهي: الكم، والكيف، والفعل، والانفعال، والإضافة، والملك، والأين، والمتى، والوصف.

٧- ويؤخذ منه مقدار مدة مكث المولود في بطن أمه بناءً على الغالب.

وإذا أزدت على ذلك التنوين اللاحق للكلمة عند الإعراب كان ذلك عشرةً، وهي المقولات العشرة، وهي التسعة المتقدِّمة والجسم، وهي لا يخرج عنها، فهو ﷺ أهل الموجودات، وسيِّد الكائنات، وخلاصة أهل الأرض والسماوات، ويُؤخذ منه عدد أصحابه العشرة، والعشر ليال، التي أتَمَّ الله بها ميقات موسى ﵇، وبزيادة هذا الواحد تنقل الأعداد إلى مرتبةٍ أخرى، وفي مرتبة عشرات على قدر هذه العدة، وإذا أخذت الحروف اللفظيَّة مع التنوين فهي ستَّةٌ، فيؤخذ من ذلك:

١-الجهات الستة.

٢-وعدد الأيام التي خُلقت فيها السماوات والأرض.

٣-وعدد مدة مكث المولود في بطن أمه بناءً على غير الغالب.

٤-وعدد أركان الوضوء.

٥-وعدد أركان الحجِّ عند الشافعي.

وإذا أخذت الميم فهي بأربعين، فيؤخذ منها:

١-مقدار مدة النبوة.

٢-وميقات موسى ﵇.

٣-وعدد الجمعة عند الإمام الشافعي.

٤-وعدد ما قيل أن في كلِّ أربعين رجلاً رجلٌ يكون وليًّا لله تعالى.

٥-وعدد النجباء، وهم أربعون.

٦-وعدد مدَّة تقدُّم البيت الحرام على بيت المقدس؛ فإنه تقدَّم عليه بأربعين سنةً.

٧-وعدد أول نصاب الغنم في الزكاة.

٨-وعدد نصاب البقرة الثاني.

وفي الكلمة اللفظية والرسمية إذا ضربت الحروف الرسميَّة وهي أربعةٌ في الستة اللفظيَّة السابقة كان ذلك أربعةً وعشرين، وهي عدد ساعات اليوم والليلة، وإذا اعتبرت السماوات السبع والعرش والكرسي والأرضين السبع والماء والظلمة والإنس والجن والملائكة والهوام والحيوانات والنبات فهي أربعةٌ

=

وعشرون، وهي أجلُّ المخلوقات، فهو ﷺ أصلٌ لها، ففيه إشارةٌ إلى ذلك.

وهنا فائدة أولى: في هذا الاسم الشريف، وهي أنه لا إعجام في حرفٍ من حروفه، كما في لفظ الجلالة، إشارةً إلى خلوصه ﷺ، وإلى أن كلَّ من تبعه لا بدَّ أن يكون خالصًا، ففيه إشارةٌ لذوي الأبصار من أوَّل اعتبارٍ.

وثانية: وهي أنه قد اجتمع في اسمه الشريف الميم الشفويَّة والدال اللِّسانيَّة والحاء الحلقيَّة، فهي نعمة سنيَّةٌ، هي ألا يخلو مخرجٌ من المخارج بالكليَّة من ذكر خير البريَّة، وما أحسن هذه الحروف صورةً ونطقًا؛ إذ هي حروف المحبوب لكلِّ أحدٍ، الذي هو الثناء بالجميع، فسبحان الواضع لهذا الاسم الشريف، كيف ركَّب حروفه من حروف الحمد المحبوب لكلِّ أحدٍ، وحجب أن يسمَّى به أحدٌ، ويظهر له ما ظهر له ﷺ! فحقيقٌ على كلِّ أحدٍ أن يحبَّه، فمن شكَّ أو عاند أو خالف فذلك لسوء المزاج، وقبح الطبع؛ لعدم قبول طبعه للحمد أو للحسد، فإن ذلك في الكتاب مسطورًا، فيما وجدته منقولاً عن بعض العلماء وهو اعتمادنا ودليلنا مع الرواية السابقة، فيما قلنا مع زيادةٍ نثني عليه، فإذا أخذت حروف الكلمة ونطقت بها كل واحدٍ على حدته ففي كل ميمٍ ميمان وياءٌ، وذلك تسعون، وفيه ثلاث ميماتٍ؛ لأن الحرف المشدَّد بحرفين، فجملتها مائتان وسبعون، والدال بخمسةٍ وثلاثين، ولفظ حاء بتسعةٍ، فذلك ثلاثمائةٌ وأربعة عشر، وهي عدد الرسل على قولٍ، فإن اعتبرت الحاء مجردةً سقطت الألف، وذلك عددهم على قول أنهم ثلاثمائة وخمسة عشر، فبيانه أن تمدَّ الحاء في النطق يتولد ألفٌ، وأما عدد الأنبياء مطلقًا فهم مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، على ما ذكره ابن حبَّان، وعدد أصحابه وهم كذلك على ما ذكره الغزالي، فبيانه أن الاسم المذكور مشتملٌ على ميمين من غير اعتبار تضعيفٍ وحاءٍ ودالٍ، فتحسب ذلك بالجمل الصغير من غير بسطٍ، فالميم الأولى بأربعةٍ، والثانية بأربعةٍ، والحاء بثمانيةٍ، والدال بأربعةٍ، وذلك عشرون، فاضربها في مثل ما يحصل أربعمائة.

وقد حصل من استخراج الأول عدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر على الاستخراج الأخير رد الجميع إلى عدَّة عقوده؛ فالأربعمائة عقودها أربعةٌ، فالثلاثمائة ثلاثةٌ، وعقد العشرة واحدٌ، فتضرب العقود الأربعة في العقود الثلاثة فالخارج اثني عشر، وهي من ضرب المائة في مثلها، فالخارج عشرات الألوف، يحصل مائة ألفٍ وعشرون ألفًا، واضرب واحدًا عقد العشر في عقود الأربعمائة يحصل أربعةٌ، وهي من ضرب العشرات في المائة، فالخارج آحاد ألوفٍ، وذلك أربعة آلافٍ، ضمها إلى المائة والعشرين يحصل مائة ألفٍ وأربعةٌ وعشرون، والخمسة الباقية يجعلها لشيءٍ ما تقدَّم في الخمسات، أو تجعل أربعةً للخلفاء الراشدين وواحدًا للقطب.

وإذا اعتبرت حروف الاسم بالجمل الصغير كانت الميم الأولى بأربعةٍ والثانية بأربعةٍ، فذلك ثمانيةٌ، والحاء بثمانيةٍ، فإذا ضربت ثمانية الميمين في ثمانية الحاء كان الحاصل أربعةٌ وستين، وهي مدة حياة النبي ﷺ؛ فإنه مات في السنة الرابعة والستين، ويُؤخذ منه عدد سور القرآن؛ وذلك أنك إذا ضممت إلى الأربعة والستين السابقة عدد النون التي هي التنوين اللاحق له عند الإعراب ذلك مائةٌ وأربعة عشر، وهي عدد سور القرآن، وعدد الكتب المنزَّلة من السماء؛ فإنه ورد في بعض الروايات أنها مائةٌ وأربعةٌ عشر،

وأما على رواية أنها مائةٌ وأربعةٌ المشهورة فبيانه أنك إذا جمعت حروفه الرسميَّة وهي أربعةٌ إلى حروفه اللفظيَّة وهي ستةٌ باعتبار التنوين كان ذلك عشرةً، فإذا ضربتها في نفسها كان ذلك مائةٌ، زدْ عليها عدد الدال بأربعةٍ يحصل مائةٌ وأربعةٌ، وهي عدد الكتب المنـزَّلة، فصحف شيث خمسون على روايتها تُؤخذ من التنوين، وصحف إبراهيم ﷺ ثلاثون تؤخذ من ضرب حروفه الخمسة من غير التنوين في الستة باعتبار التنوين يحصل ثلاثون، هذا على رواية أنه نـزل عليه ثلاثون صحيفةً، ويُؤخذ عدد أيام رمضان، وأما على رواية أنه نـزل عليه عشرون فيؤخذ من حروف الاسم بالجمل الصغير، وصحف موسى ﷺ عشرةٌ غير التوراة، وصحف آدم ﷺ على رواية أنها نـزلت عليه عشرةٌ، فتُؤخذ من الدال أو من الميم باعتبار الجمل الصغير، ويؤخذ منه أسماء الله الحسنى التسعة وتسعون، وذلك بأن تأخذ ميًا واحدةً وتنطق بها تجد عدد حروفه الرسميَّة إلى عدد اللفظيَّة يحصل تسعةٌ، فضمَّها إلى التسعين يحصل ما ذكر: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنَّة»، وهي مشهورةٌ فلا نطيل بذكرها.

وأما أسماؤه تعالى على ما حكاه ابن العربي من أنها ألف اسم فبيانه أنك تأخذ ميًا فيها تسعون كما تقدَّم، والحاء فيها عشرةٌ، وذلك أنك إذا نطقت بها ومددت الحاء قلت: حـاء، فالحاء بثمانيةٍ، والألف الأولى بواحدٍ، والهمزة بواحدٍ، وذلك عشرةٌ، فإذا ضممتها إلى التسعين كان ذلك مائةٌ، فإذا ضربت فيها عدد حروفه الرسميَّة الأربعة مع حروفه النطقيَّة الستة باعتبار التنوين فهي عشرةٌ كان الحاصل ألفًا.

ومثل ذلك يأتي في أسمائه الشريفة ﷺ؛ فإنها ألفٌ، ويؤخذ من ذلك مقدار يوم القيامة: «إنَّ يوم القيامة عند ربِّك كألف سنةٍ مما تعدُّون».

ويُؤخذ من الاسم عدد أركان الصلاة عند الإمام الشافعيِّ، وذلك أن الحاء بثمانيةٍ، والحروف الرسمية أربعةٌ، والحروف النطقية ستَّةٌ، فذلك ثمانية عشر، وهي عدد أركانها في قولٍ لبعض أصحابه، وإذا نطقت بالحاء كانت بتسعةٍ، وإذا ضممت إليها الدال ذلك ثلاثة عشر، وهي عدد أركانها عند المحققين من أصحابه، وإذا مددت الحاء كانت بعشرةٍ كما تقدَّم، فإذا زدت عليها الدال كانت أربعة عشر، وهي عدَّتها على قولٍ لبعض أصحابه، وإذا اعتبرت الحروف بالجمل الصغير: فالميم الأولى بأربعةٍ، والحاء بثمانيةٍ، والميم الثانية بأربعةٍ، وذلك عشرون، وهي عدَّتها على قولٍ لبعض أصحابه.

ويُؤخذ من ذلك عدد الصفات الواجبة له تعالى؛ فهي عشرون صفةً، وهي: الوجود، والقِدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانيَّة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادرًا، ومريدًا، وعالمًا، وسميعًا، وبصيرًا، ومتكلِّمًا، فالصفة الأولى من العشرين نفسيةٌ، والخمسة بعدها سلبيَّةٌ، والسبعة بعدها معاني، والسبعة الباقية معنويَّةٌ.

ويؤخذ منه أيضًا عدد المستحيلات العشرين، وهي: أضداد لتلك، وهي: العدم، والحدوث، وطروء العدم، والمماثلة للحوادث، وألا يكون قائمًا بنفسه، وألا يكون واحدًا، والعجز، وإيجاد شيءٍ من العالم مع كراهيته لوجوده: أي عدم إرادته له، والجهل، والموت، والصمم، والعمى، والبكم، وكونه عاجزًا.

ويُؤخذ منه أيضًا عدد السنن التابعة للفرائض؛ فإنها عشرون، وعدد ركعات التراويح، وعدد صلاة الأوَّابين؛

فإن أقصاها عشرون، وإذا ضربت الحروف الرسميَّة في النطقيَّة باعتبار التنوين كان الحاصل ثلاثين، أسقط الثلاثة عشر السابقة يبقى سبعة عشر، وهي عددها على ما في الروضة، وإذا سقطت من الثلاثين التسعة السابقة بقي أحد وعشرون، وهي عدَّتها على قولٍ حكاه أصحابه.

فإن قلت: هل يمكن أخذ كلٍّ واحدٍ من الخمس وعدد الأركان جملةً؟

قلت: يمكن؛ وذلك أن الميم الأولى بأربعةٍ، وهي الظهر، وفيه مناسبةٌ أخرى، وهي أن الظهر أول صلاةٍ ظهرت، كما أن الميم أول حرفٍ عند النطق، والميم الثانية بأربعةٍ، وهي العصر، وفيه مناسبةٌ أخرى، وهي أن العصر الصلاة الوسطى على الراجح، كذلك الميم وسط الحروف لا باعتبار التنوين، والدال بأربعةٍ، وهي العشاء، وفيه مناسبةٌ أخرى، وهي أن العشاء آخر الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، كذلك الدال آخر حروف الكلمة، وبقي المغرب والصبح، فأما الصبح فتُؤخذ من قسمة الحاء بثمانيةٍ على الدال مثلاً يخرج اثنان، وهما عدد ركعتيها، وكذا كل صلاةٍ هي ركعتان من سائر السنن، وأما المغرب فبأن تأخذ من الاسم الحاء يبقى فيه ثلاثة أحرفٍ باعتبار الرسم، تنطق بالحاء يحصل تسعةٌ، اقسمها على ما بقي من حروف الاسم يخرج ثلاثةٌ، وهي عدد ركعات المغرب، وقد عُلم من ذلك عدد الركعات تفصيلاً.

فأما إجمالاً فهو على وزان ما تقدَّم في أركان الصلاة عند الشافعيِّ على قول أنها سبعة عشر.

وهاهنا فائدةٌ جليلةٌ: وهي أن حروف الاسم خمسةٌ، وهي عدد الصلوات الخمس، وغيرها كما مرَّ، وليس هذا هو المراد هنا، إنما المراد أن التنوين اللاحق لهذا الاسم بخمسين، وهي عدد أصل الصلوات؛ فإنها فُرضت خمسين، فكما أن التنوين غير لازم لهذا الاسم كذلك الصلوات الخمسون لم تكن لازمةً لنا، وإنما اللازم لنا الخمس، كما أن حروف الاسم الخمسة لازمةٌ له.

وأيضًا هنا فائدةٌ أخرى، وهي أن حروف الاسم إما خمسةٌ بلا تنوينٍ، أو ستَّةٌ به؛ ولهذا أجري خلافٌ في أن الأحكام التكليفيَّة هي خمسةٌ بإسقاط خلاف الأولى، أو ستَّةٌ به؛ فهي مأخوذةٌ من الاسم على الرائين، وهي: الواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح، أو يُزاد عليها خلاف الأولى.

ويُؤخذ منه أيضًا الأحكام الوضعيَّة، وهي: السبب، والشرط، والمانع، والصحة، والفساد، وإذا تتبعت غالب أبواب الفقه عندنا وجدت أركان الباب إما خمسةٌ أو ستةٌ أو أربعةٌ، والباب يدور على أركانه، وبالله التوفيق. وإذا ضممت الحاء مع الدال كان الحاصل اثني عشر، وهي عدد شهور السنة وعدد ساعات اليوم أو الليلة غير مستويَةٍ، وعدد بروج السماء؛ فإنها اثني عشر برجًا، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:١٦]، والدال بأربعةٍ، وهي عدد الأشهر الحُرم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]. وكذلك مدة مرضه ﷺ؛ فإنها كانت اثني عشر يومًا على قولٍ، وكذلك عدد ما مضى من الشهر الذي مات فيه؛ فإنه ﷺ مات في ربيع الأول لاثنتي عشر ليلةً خلت منه، وإذا أخذت الحاء وهي بثمانيةٍ وهي أعداد أبواب الجنَّة وعدد حملة العرش؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ

﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]. وعدد ما تجب فيه الزكاة من الأموال؛ فإنها ثمانيةٌ: الإبل، والبقر، والغنم، والذهب، والفضة، والزرع، والثمار وهي شيئان: التمر، والزبيب، وعدد أصناف المستحقين لها؛ فإنهم ثمانيةٌ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة:٦٠].

وعدد ركعات الضحى؛ فإنها ثمانيةٌ على ما هو الراجح عند الشافعيَّة، وأما الوتر يُتَّخذ منه بأن تأخذ الحاء بثمانيةٍ، يبقى معك في الكلمة ثلاثة أحرفٍ باعتبار الرسم، زدها عليها تحصل إحدى عشر، هي عدد ركعات الوتر.

وفيها يُؤخذ منه باعتبار التركيب من الكلمات المستجارات، وذلك إذا أخذت حروف (محمدٍ) وحللتها ونطقت بها هكذا: م ي م ح ا م ي م د ا ل ن و ن باعتبار التنوين، وركَّبت منها أسماءً وأفعالاً تجدها كلَّها دالةٌ على الشرف والحمد والرفعة والمجد، منها أحمد وحامد ومحمود.

وفيه بحثٌ، وهو أن محمدًا أبلغ من محمود كما لا يخفى، فهلا كان الأمر بالعكس؟!

الجواب عن ذلك أن المبالغة في أسمائه تعالى لا تقع مرادًا منها المعنى الأصليّ لها؛ لاستحالته؛ إذ هي إثبات زيادةٍ على ما يستحقُّه الموصوف، ولهذا إذا وقعت في أسمائه تعالى احتاج الأئمة في صرفها عن ظاهرها إلى الجواب. فإن قلت: فما وجه المبالغة في محمدٍ؟ قلت: وجوهٌ:

منها: أنه تعالى أتى بهذا الاسم على صيغة المبالغة فيه؛ طلبًا منه تعالى لنا زيادة إذعانٍ ومحبَّةٍ له ﷺ؛ ففي الحديث: «لنْ يُؤمنَ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه ومالِه وولدِه والنَّاسِ أجمعين».

ومنها: أن المبالغة من الله تعالى في إكرامه ﷺ؛ ففيه إشارةٌ لطيفةٌ إلى أني بالغت في اسمه الدال عليه، كما أني بالغت في أوصافه الحميدة الفائقة.

ومنها: أن العرب للمبالغة عندهم وقعٌ عظيمٌ وماح: أي دين الشرك وعبادة الأصنام، وما كان عليه الجاهلية من الخيالات والأوهام، وحليم: أي بالمؤمنين، وحامي: أي دين الإسلام وأهله، من أن تلحق الإسلام شبهة معاندٍ أو مخالفٍ، أو يلحق أهله بلاءٌ أو خسفٌ أو محقٌ أو غير ذلك مما كان يصيب الأمم السابقة، وأحيي: أي الأرض ومن عليها بالتوحيد، والعدل والماحي فيه ما تقدَّم، والمحيي: أي دين الإسلام وأهله، وداحي: أي الأرض منه دحيت؛ إذ هو أصلها، ودامي: أي أهل الشرك بسفك دمائهم، وحامل: أي لواء العزِّ والمجد والشرف والرفعة، وإمام: أي مقدَّمٌ على كلِّ مخلوقٍ؛ فهو أفضل الخلق حتى من الملائكة وذلك بإجماعٍ، ولا ننظر إلى ما ذكر الزمخشري من المقالة الشنيعة، بل قال بعضهم: إن ذلك جهلٌ منه بمذهبه؛ لأن رأي المعتزلة تفضيل الملائكة على الأنبياء: أي غير نبينا كما هو المنقول عنهم، ودالٍ: أي على كل خيرٍ، وبيده زمام كلِّ خيرٍ، فهو قطب العالم، وعليه مداره، وميمون ويمن ويمون إما من اليمن: أي البركة، أو من المؤنة: فعل الخير في ساحة جوده وطلعة سعوده، وممنون: أي ممنون به على الخلق، فهو المنَّة العظمى، وهذا مما يدل على شرفه ﷺ.

ويُؤخذ من ذلك أسماء الله تعالى: حيٌّ، ومحيي، ودائم، والدائم، والحيُّ، والمحيي، ويا دائم، ولو أمعنا النظر

لأخذنا أكثر من ذلك، هذا بالنظر إلى تلك الحروف.

وأما حروف (محمد) فقط فهي أنك إذا أخذت الحاء مع الميم صار ذلك (حما)، وفيه ما تقدَّم، وإذا أخذت الميم الثانية مع الدال صار (مد) مع التضعيف، ومعناه مد دين الإسلام وأظهره، ومد كل خيرٍ، وإذا أخذت الحاء مع الدال صار ذلك (حد)، ومعناه حدَّ حدود الله تعالى وأظهرها، وإذا أخذت الحاء مع الميم والدال وركِّبت منها كلمةً كانت (حمد)، ويكون معناه حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وإذا أخذت الميم والدال والحاء وركِّبت كلمةً كانت (مدحًا)، وإذا أخذت الميم الوسطى مع الحاء والميم والدال وركِّبت منها كلمةً كانت (محمد): أي مكانًا للحمد، فأنعم بهذا الاسم ما أحسنه وألذَّه في قلوب عباده المؤمنين؛ فكلُّ ما تصرفت فيه لا تجده إلا دالا على الكمال.

إلهنا لك الحمد على ما أوليتنا وخصصتنا به من بين كريمٍ ونبيٍّ وسيِّدٍ عظيمٍ، كيف لا وهو خيارٌ من خيارٍ. ويؤخذ منه أيضًا أسماء بعض الأنبياء، فمن ذلك آدم ﷺ. وإذا قلت: آدم حمد محمدًا كان مقلوبه عين الأول، وهذا نوعٌ من الجناس المسمَّى عندهم بجناس العكس والقلب، نحو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [الأنبياء:٣٣]، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]، فآدم يحمده، وهذا معنى قول بعض العارفين: أنا كنت مع آدمَ في كذا، أنا كنت مع نوحٍ في السفينة، أنا كنت مع إبراهيمَ، فحيث وقعت هذه العبارة للعارفين في كلامهم إنما هي حكاية عن لسانه ﷺ.

واعلم أن محمدًا صالحٌ لأن يكون اسم مفعولٍ، أو اسم زمانٍ، أو اسم مكانٍ، أو مصدرًا ميميًّا، قبل جعله علمًا، وأما بعده فهو علمٌ على الذات الشريفة، أما كونه اسم مفعولٍ فهو باعتبار وقوع المحامد كلِّها عليه، وأما اسم الزمان فهو اسمٌ لزمان الحمد، وأما اسم المكان فهو اسمٌ لمكان الحمد، وأما كونه مصدرًا فيحتمل أن يكون علمًا على ماهية الحمد المطلقة، أو لملاحظة الوجود في الذهن، فيكون اسم جنسٍ أو علم جنسٍ، ويكون من المصادر التي جاءت أعلامًا، ويحتمل أن يكون باقيًا على معناه المصدريِّ، ففي ذلك إشارةٌ إلى أن كلَّ عبدٍ هو دالٌّ عليه.

وفي أخذ أسمائه الشريفة من هذا الاسم ممكنٌ، لكن نقتصر على بعضها؛ لقياس عليه غيره، وإنما لم ننصّ على كلِّ واحدٍ بخصوصه خوفًا من التطويل، فإني لما شرعت في تأليفها اطَّلع عليها بعض الإخوان فطلب مني الاختصار ما أمكن، وإلا كان مرادي فيها التطويل.

فمن ذلك (أحمد) هو بثلاثةٍ وخمسين، يُؤخذ منه باعتبار الحروف كما مرَّ وباعتبار الجمل، فيُؤخذ منه الميم والحاء والدال وذلك اثنان وخمسون، يبقى واحدٌ، وبقي معك ميمٌ، زدها باعتبار ذاتها يحصل ما ذكر.

و(آمين) يؤخذ منه باعتبار الحروف السابقة، وباعتبار الجمل هو مائةٌ وواحدٌ، يُؤخذ من ضرب الحاء عند النطق بها وهي تسعةٌ في نفسها يحصل واحدٌ وثمانون، وحروف الاسم بالجمل الصغير عشرون، يحصل مائةٌ وواحدٌ وهي عدد آمين، و(هادي) بعشرين، هي عدد الحروف بالجمل الصغير، و(مهدي) سبعة وخمسين، يُؤخذ من التنوين، فهو بخمسين، والحاء بتسعةٍ إذا نطقت بها، فهذه تسعةٌ وخمسون، وحليم بثمانيةٍ وثمانين، فيُؤخذ من الميمين والحاء.

وقسْ على ذلك ما كان من الأوصاف الحميدة مثل (حياء) بعشرين باعتبار الهمزة، يؤخذ من حروف الاسم بالجمل الصغير، و(عليم) بمائةٍ وأربعين، يُؤخذ منه ميمٌ بأربعين، يبقى معنا من الاسم ميمٌ ودالٌ وحاءٌ، هي بثمانيةٍ، ردَّ عليها الميم والدال يحصل عشرةٌ، اضربها في نفسها تحصل مائةٌ، ردَّها على الأربعين يحصل ما ذكر، ومثل (حلم)، وهكذا باقي الأوصاف الحميدة.

وفي أخذ أسماء الله تعالى منه يؤخذ أسماء الله كل واحدٍ على انفراده مثل ستة وستين يؤخذ من ضرب الدال والميم باعتبار الجمل الصغير، وهما بثمانية في نفسها بأربعة وستين، زد على ذلك الحرفين الباقيين وهما الحاء والميم يحصل ما ذكر، وأما إجمالا بأن تجمع اسمين أو ثلاثة أو أربعة فيمكن أيضًا مثلا محمد بتمامه باثنين وتسعين، ونحو أول دائم، وكذلك حي وهاب واجد ولي.

ونقل بعضهم عن ابن العربي أنه قال: من أخذ حروف اسمه بالجمل ونظر في أسمائه تعالى في أي اسمٍ يوافقه في العدد فإن وجده في واحدٍ فذاك وإلا نظر في اثنين أو ثلاثة أو أربعة كما في اسم محمد، فإن عدده يوجد في اسمين أو في أربعة كما مر، ثم يأخذ ما وجد من أسمائه تعالى ويقرأ (الفاتحة) بقدر عدد اسمه، و(ألم نشرح) كذلك، وبعد ذلك يقرأ ما وجده من أسمائه تعالى موافقًا لاسمه في العدد المذكور؛ فهو اسم الله الأعظم، فمن اسمه (محمد) يقرأ (الفاتحة) اثنين وتسعين، و(ألم نشرح) كذلك، والأسماء الأربعة وهي: (حيٌّ، وهَّابٌ، واجدٌ، وليٌّ) كذلك، ويتَّخذ ذلك رياضةً، ويقول في آخر الذكر عند انقضاء العدد: يا حيُّ أحي كربي وقلبي ورزقي أو ما شاء، يا وهَّابُ هب لي كذا، يا واجدُ أوجد لي كذا، يا وليُّ تولَّني؛ فهو اسم الله الأعظم.

فانظر يا أخي بعين العناية إن كنت ممن خالط قلبك محبَّة المسمى، وإلا فإن تُليت عليك التوراة والإنجيل فما تزيدك إلا عمًى عن السبيل، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره الإسلام، ومن يُرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيقًا حرجًا، إلى ما في هذا الاسم الكريم من المناسبات؛ فإن من له قلبٌ سليمٌ وعقلٌ مستقيمٌ يفهم من هذه الأمور أسرارٌ، ويزداد إيمانه ومحبَّته له ﷺ، وهذا السبب الباعث على تأليف هذه الرسالة؛ فإن العاقل إذا نظر هذا الاسم وما فيه من الأسرار قال لنفسه: إذا كان هذا الاسم اشتمل على هذه المناسبات المناسبة لذاته الشريفة ولشريعته الطاهرة فكيف بالمسمَّى؟! فجلَّ أن يسمَّى وسبحان من سَمَّى.

ومما يدلُّك على عظيم رفع الاسم أن جدَّه عبد المطلب لما سماه به تعجب منه الحاضرون، وأخذوا يسألونه: لِمَ سميت ابنك به وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! فأجابهم بجوابٍ بديع الشأن صادرٍ منه بإلهامٍ من الرحيم الرحمن: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض، ولله الحمد والمنَّة حيث حَقَّق رجائه، وزاده ﷺ ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشرٍ، وانظر كيف تعجبوا منه بمجرد أن سمعوه، ولاسيما أنه لم يكن مألوفًا، ولم يسمَّ به أحدٌ قبله، وتمَّ له هذا الأمر، وإنما سَمَّى جماعةٌ أولادهم به رجاء النبوة، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فما تَمَّ لهم شيءٌ من ذلك، ولا ادَّعوا النبوة، ولا أحدٌ ادَّعاها لهم، وإنما صان الله تعالى ذلك الاسم إلى أن وُضع عليه ﷺ، وطابق الله بين اللفظ والمعنى، فلما أراد الله إنجاز

ما كان وإظهار ما تسرُّ الآذان ألهم الله تعالى جدَّه عبد المطلب أن يسميه ﷺ به، أو أرسل إلى أمه أن تسميه به، ولعلَّ الله جعل عليه هذا الاسم إشارةً إلى أهل الكشف، حتى أن الواحد منهم إذا سمعه أخذ منه جميع ما يحتاج إليه، ولا يدع في ذلك.

قال سيدي إبراهيم المتبولي: لا يكون الرجل من الرجال حتى يستنبط جميع الشريعة من حرفٍ واحدٍ من القرآن، فلا مانع أن يكون الله تعالى جعل فيه جميع ما يحتاج أولياؤه كما أن مسمَّاه كذلك، فمن رأى المسمَّى كالصحابة أخذ عنه جميع ما احتاج إليه، ومن لم يره اكتفى بالاسم، ألا ترى أن الناس اختلفوا قديمًا وحديثًا بقولهم: هل الاسم عين المسمَّى أو غيره؟ كما هو مشهورٌ بأدلَّته وتفصيله، فعلى هذا معنى السؤال عند أهل الكشف أن جميع ما أجد من المسمى، ودلَّ عليه بأقواله وأفعاله، هل يدل عليه هذا الاسم أو لا؟ فمن أطلعه الله تعالى عليه وفهم منه ما فهم قال: الاسم عين المسمَّى: أي أن ما استفيد من المسمَّى من شرائع ومكارم أخلاق مستفادٌ من الاسم، ومن لم يفهم منه شيئًا قال: هو غيره، وإلا فلا يشكُّ عاقلٌ في أن الاسم ليس هو المسمَّى، وقد وقع لي واقعة حالٍ أني زرت الإمام الشافعيَّ، وقصدت السيدة نفيسة، فإذا برجلٍ من المجاذيب في منعطفٍ لا يراه إلا قليلٌ من الناس، فمرَّ به رجلان قال أحدهما للآخر: يا جاهل. فإذا الرجل المجذوب يقول لنفسه: وأنا أسمع كيف يكون هذا جاهلاً وهو ببلاد الإسلام؟! وقد سمع من القرآن ولو كلمةً واحدةً أخذ منها جميع ما يحتاج إليه، وإنما الجاهل الذي يكون بالجبل. هكذا سمعته منه بأذني، وإنما قال ذلك الرجل ما قال بحسب ما عنده، فهو يظنُّ أن الناس كلَّهم على هذه الطريقة، فمن كان له فهمٌ وذوقٌ فهم منه أمورًا لا يفهمها غيره، وإن لم يدلّ عليها اللفظ، ألا ترى أن أبا يوسف لما سأل الكسائيَّ عن مسألةٍ في الفقه ولم يكن له فيه يدٌ وكانت له في النحو، فخرَّجها على قواعد النحو، وإن لم يكن في النحو ما يدلّ عليها، وإنما أخذ ذلك بفهمه، فكيف ينكر على أهل الكشف ما هو أعظم من ذلك؟! فعلى فرض أن واحدًا منهم لم يبلغه شيءٌ من الشرائع وبلغه هذا الاسم اكتفى به وأخذ منه ما احتاج إليه في جميع أموره: دنيا ودينًا ويمنًا وبركةً، بل ربما ظهر لهم كالمشاهدة، ودلَّ عليه اللفظ دلالةً صريحةً أقوى من دلالة المطابقة، فكما أن الواحد منهم إذا سمع: (قام زيد) فهم منه ثبوت القيام، فكذلك الواحد منهم إذا سمع هذا الاسم الكريم يفهم منه جميع الأحكام فهمًا يدلُّ على اللفظ، باعتبار ما يطلعهم الله عليه ويلهمهم من الأسرار.

فإن قلت: هذا مشكلٌ، فإن اللفظ الواحد لا يمكن أن يدلَّ على معانٍ لا يحصُّ، وهي في غاية الاختلاف، ومتفرقةٌ في سائر الوجوه، ومتباينةٌ غاية التباين.

قلت: كلامنا مع أهل الكشف نفعنا الله بهم، وهم لا يُقاس بهم غيرهم، ألا ترى أن أرباب الحقيقة نفعنا الله بهم وحشرنا في زمرتهم عدُّوا من وجوه الكشف الاطِّلاع على صورة المعاني المعقولة في هيئة الأجسام المشخصة، وحكاياتهم في ذلك كثيرةٌ مشهورةٌ، فلا نطيل بذكرها، سلَّمنا أن ذلك ليس خاصًا بهم.

قلنا: اللفظ الواحد قد يدلُّ على معانٍ مختلفةٍ، ألا ترى أن الفقهاء عرَّفوا الصلاة بأنها من الله رحمةٌ، ومن الملائكة استغفارٌ، ومن الآدميين تضرُّعٌ ودعاءٌ، فهذه الصلاة عندهم تدلُّ على معانٍ مختلفةٍ واللفظ

واحدٌ، وأيضًا أن الإمام السنوسي استنبط جميع العقائد الواجبة من قول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، كما أن كلمة التوحيد دلَّت على ما يجب لله وللرسل، كذلك اللفظ الدال على سيد الرسل لا مانع أن يكون دالاًّ على ما جاء به من الشرائع؛ فتأمَّل، وبالله التوفيق.

وأيضًا يمكن أن الله تعالى وضع هذا اللفظ بجميع تلك المعاني وغيرها، وأطلعهم عليها، ويكون ذلك من قبيل المشترك، بناءً على أن واضع اللغات هو الله تعالى، وهو الأصحُّ، ومما يدل على ذلك أن الله تعالى لم يظهر الخلق على هذا الاسم الكريم إلا لما قرب زمانه ﷺ، ولا سيما آدم رآه مكتوبًا على أبواب الجِنان، وعلى قصور الجنَّة، وعلى نحور الحور العين، وعلى كلِّ شجرةٍ، وقد علم آدم شرفه ومزيَّته؛ لأنه ببركته تاب الله على آدم عليه السلام لما سأل الله، فلم يتجاسر آدم مع علمه بفضله أن يسمِّي أحدًا من بنيه به، أو أحدًا من بنيه أن يسمِّي به؛ لما علموا أن هذا لا يظهر إلا آخر الزمان، وفيه إشاراتٌ إلى أمته يفهمونها منه، وأيضًا لو أطلعهم الله عليه لربما سُمي به العامُّ والخاصُّ، فلما يأتي زمانه ﷺ لا يبقى له كبير وقعٍ عند من يسمعه، بخلاف عمَّا إذا لم يطَّلعوا عليه إلا وقت أبانه، فحينئذٍ فاجأهم الله به، فتعجَّبوا من شرفه، ومن عظيم وقعه، وإلا فلا ضرر أن يسمَّى أحدٌ بهذا اللفظ؛ لأن الألفاظ بمجردها لا تفيد شيئًا إلا بواسطة الوضع، إلا هذا اللفظ؛ فإنه دلَّ على أمرٍ عجيبٍ ومعنًى غريبٍ، ألا ترى أن عبد المطلب لما أراد أن يسميه ﷺ به تعجَّب الحاضرون لما فهموا من خصوص هذا اللفظ، فقد جعله الله دالاًّ على معانٍ لا تتناهى، فلو تسمَّى به أحدٌ قبله ﷺ لسبق إلى الأذهان منه ما سبق، وتُوُهِّم أنه هو، ووقعت الناس في حيرةٍ، فأخَّره الله تعالى بفجئهم به؛ لينهرهم بهذا الاسم بمجرده، كما أن المسمَّى كذلك.

فإن قلت: أما كون المسمى ينهرهم فهذا ظاهرٌ مألوفٌ، ووقع منه ﷺ؛ فقد نُصر بالرعب من مسيرة شهرين من سائر الجهات، وأما اللفظ فمن أين ذلك؟!

قلت: هو كذلك؛ ألا ترى أن عبد المطلب جدَّه ﷺ لما سماه به تعجبت الحاضرون من هذا الاسم؛ لما فهموه بمجرده، قالوا له: لِمَ سميت ابنك به وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! قال لهم في الجواب: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض، وقد حقَّق الله رجاءه، فإذا لم يكن في أسماء آبائه ولا قومه فلماذا تعجَّبوا منه؟! إنما هو لما أوقعه الله في قلوبهم من بركة هذا الاسم الكريم، ومن عظيم وقعه عندهم، فسؤالهم عن مجرد الاسم وجواب عبد المطلب لهم مسلِّمًا لهم صحة السؤال يدلان على أن هذا الاسم بمجرده يدلُّ على معنًى عجيبٍ وأمرٍ غريبٍ، أدَّاهم ذلك إلى التعجب، لاسيما وهم لا يعرفون له معنًى سابقًا، وإنما هو بمجرد أن فاجأهم اللفظ فتعجَّبوا منه.

فإن قلت: هل يصحُّ أن يكون الاستفهام لغير التعجب، بأن يكون استفهامًا حقيقيًّا، بأن يكون الحاضرون سألوا عبد المطلب سؤال استفهام على معنى أن هذا الاسم معناه عجيبٌ؟! فهل أنت قصدت المعنى أو وضعت اتفاقًا؟!

قلت: نعم، يصحُّ؛ فجواب عبد المطلب إنما كان عن قصدٍ: لأني رجوت، وهاهنا بحثٌ، وهو أنهم صرَّحوا بأن شرط فهم المعنى من اللفظ العلم بتقديم الوضع، وإلا إذا لم يعلم الوضع من أين يفهم من اللفظ

معنًى، وأنتم صرَّحتم بأن واضع اللغات هو الله تعالى، فمن أين لعبد المطلب أن هذا اللفظ يدلُّ على أن مسمَّاه (محمد) أو لا؟! ومن أين للحاضرين ذلك السؤال عن الاسم والتعجُّب لمن سمع لفظًا ولم يعلم له وضعًا سابقًا لا يسعه إلا التوقف فيه بخلاف هذا الاسم؛ لأن الحاضرين سألوه عنه وعبد المطلب قصد ما قصد؟!

قلت: يُجاب على القول بأن واضع اللغات هو الله تعالى بأن من جملة ما قالوه في الوضع بأن يكون بإلهام، ولا شكَّ أن هذا كذلك، أو أنه من جملة المعجزات بمعنى الإرهاصات التي تكون تأسيسًا للنبوة، فلا يُقاس عليها غيرها، أو أن العرب تعلم معاني أصول المشتقات، فهذا هو ثابتٌ عندهم لسائر المشتقات، و(محمدٌ) مأخوذٌ من حمد، فهو (محمدٌ)، فيعلمون أن مادته مما ينبئ عن الشرف، هذا وهم جاهلية، لم تخالط قلوبهم بشاشة الإيمان، ولم يطَّلعوا على شيءٍ من عجائب المسمَّى، فكيف بمن صدَّق به واطَّلع على معجزاته، وعلى مقداره وشرفه.

فإن قلت: قول عبد المطلب: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض مشكلٌ، وذلك أن حمده ﷺ عند عبد المطلب في الأرض ظاهرٌ، وأمَّا حمده في السماء فمن أين لعبد المطلب أن في السماء من يحمد؟!

قلتَ: هذا أمرٌ إلهاميٌّ أنطق الله به عبد المطلب؛ إظهارًا لشرفه ﷺ بأنه يخبر عن خبر السماء، وأنه تأتيه الملائكة من السماء، فتكلَّم بما في نفس الأمر، وأولى من هذا أن عبد المطلب كان مؤمنًا على دين إبراهيم كما هو الراجح في أبويه وأجداده، وأنه كان عالمًا بأحوال السماء؛ فلهذا أخبر أن في السماء من يحمد هذا المولود، وفيه دليلٌ على أنه عالمٌ بنبوَّته ﷺ؛ إذ لم يعهد عندهم أن أهل السماء لا تحمد إلا الأنبياء، وقد يدلُّ على أن عبد المطلب كان عالمًا بأنه يكون نبيًّا مأمورًا، وأيضًا عنده بذلك علمٌ ممن أخبر به من أهل الكتاب، ومن الرهبان، ومن الوقائع التي وقعت قبل ولادته ﷺ.

فإن قلت: سلَّمنا هذا في عبد المطلب، وأما في الحاضرين فكيف أقرُّوه عليه وهم فصحاء أهل اللسان؟ فلِمَ لم ينكروا عليه ويقولون له: من أين لك أن هذا المولود يُحمد في السماء والأرض أو لا يُحمد؟

قلت: يُجاب باحتمال أنهم كانوا على دين إبراهيم كما كان عليه عبد المطلب، سلمنا أنهم ليسوا كذلك.

قلنا: يمكن أن الله صرفهم عن ذلك ببركة النبي ﷺ عن جدِّه أن يقولوا قولاً موافقًا للحقِّ فينازعه فيه أحدٌ؛ لاحتمال أن يُسأل عبد المطلب عن ذلك، فيعجز أو يخبرهم بما بلغه من أهل الكتاب، فيكيدون له كيدًا وهو ﷺ صغيرٌ لا قدرة له على دفعهم، وأن هذا ببركة عبد المطلب؛ حيث قال قولاً موافقًا لما في نفس الأمر، فليكذب أو يفخم، فصانه الله حيث سكتوا، ولم يسألوه عمَّا قال، وإيَّاك أن تقول: من أين تؤخذ هذه الأمور من هذا الاسم الواحد؟

فإنَّا نقول: هو اسمٌ قليل المباني كثير المعاني، فهو مرآة البصائر يُتوصَّل به إلى الأول والآخر، فكما أن العين وإن كانت صغيرةً إلا أنها تدرك جهاتٍ كثيرةً وأجسامًا كذلك وعلوًّا وسفلاً، فهذا الاسم كذلك هو للبصيرة، تتوصل به إلى المعقولات كالباصرة تتوصَّل بها إلى المبصرات، بل هو أولى وأقوى في الإدراكات، كيف لا والكون في ظلماتٍ حتى أناره خير البرايا.

واعلم يا أخي ممن تأخر بنا الزمان ولسنا نصل إلى ما وصل إليه أهل العرفان، وإنما نحن متطفّلون، وعلى باب جوده واقفون، ولا شيء يصل إلا بواسطته يكون، ألا ترى أن ابن سينا لما أراد أن يصل إلى الله بغير واسطته حُرم وقُصم، فرأى بعضهم النبي ﷺ في المنام، وقال له: كيف ابن سينا؟ قال: إنه رجلٌ ضالٌّ مضلٌّ أراد أن يصل إلى الله من غير بابنا فقصمناه، ومثلنا مثل قوم مسافرين جاءوا إلى بستانٍ فرأوه مشتملاً على سائر المحاسن، بحيث أن الله أودعه جميع المفاخر ولم يترك شيئًا يُستحسن حتى وضعه فيه، فدخلوا ذلك البستان وأكلوا منه ونظروا إليه، وثملوا حتى لم يبق لهم مرادٌ فيه إلا ونالوه، ثم جاء من بعدهم قومٌ فعملوا كذلك، ثم جاء قومٌ فعملوا كذلك، ومن المعلوم أن كلَّ متقدِّمٍ فاز بشيءٍ لم يقربه من بعده وهكذا، ولذا اختلفت الأوائل في الفضائل، فمن تطاول به الزمان وصل له بالتأخر نوع حرمانٍ، وجاء إلى هذا البستان فلم يصل إلى ما كان من ذلك البستان إلا أن من رآه يصفه إلى من بعده بأوصافٍ حِسانٍ، والخبر ليس كالعِيان، فحُقَّ لمن كان من أهل هذا الزمان أن يبكي حتى تدمي الأجفان على ما فاته من نعيم ذلك البستان: من مشاهداتٍ وأنوارٍ وعرفانٍ، ومع ذلك فلله الحمد والمنَّة؛ حيث وجدنا رياض الكرام، وسمعنا بخصال الأعلام، فنحن نتمرغ في تلك الرياض، ونردُ على تلك الحياض، ورضينا بالآثار، وقنعنا بالأخبار، وألهمنا أن نسلك طريق الهدى، وصددنا عن طريق الردِّ، أو جعلنا من أتباع أفضل السعداء، فنسأله بفضله ومنّه أن يُلحقنا بالسادة الشهداء، وأن يمنَّ علينا في غدٍ بالخلود في جنَّة السعداء، وأن يمنحنا النظر إلى وجهه أبدًا.

ولا ريب أن الإنسان احتوى على أوصافٍ حميدةٍ وخصالٍ عديدةٍ لا يكاد يمكن حصرها وضبطها، فيمكن أن الله جعل هذا الاسم منطويًا على العالم بأسره، دالاً عليه دلالةً ظاهرةً، وجعل فيه من المزايا والأوصاف ما لا يوجد في غيره كمسمَّاه موافقة بين الاسم والمسمَّى، ولهذا ذهب بعضهم إلى اشتراط المناسبة بين اللفظ والمعنى، فقيل: إنها حاملةٌ على الوضع وقفها، فيحتاج إليه، وقيل: بل بمعنى أنها كافيةٌ في دلالة اللفظ على المعنى، فلا يحتاج إلى الوضع، يدرك ذلك من خصَّه الله به، كالقافة، وهم قومٌ خصَّهم الله بمعرفة الإنسان، ويعرفه غيره منه.

قال: حُكي أن بعضهم كان يدَّعي أنه يعلم المسميات من الأسماء، فقيل له: ما يسمى (اذغاغ) وهو من لغة البربر، فقال: أجد فيه يبسًا شديدًا، وأراه اسم الحجر، وهو كذلك.

وأيضًا أن آحاد الناس إذا أراد وضع اسمٍ على المسمَّى لاحظ في وضعه ذلك المسمَّى، وقصد الموافقة بين الاسم والمسمَّى، فكيف والواضع لهذا الاسم ربُّ العالمين؟! إمَّا بإلهام عبد المطلب، وإما بوحيٍ إلى أمِّه، بأن جاءها ملكٌ، وقال لها: سمِّي ولدك، وأيضًا عبد المطلب لاحظ بهذا المعنى حيث وضعه، فقيل له: لِمَ سَمَّيت ابنك محمدًا، وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟! قال: رجوت أن يُحمد في السماء والأرض. فقوله (رجوت) فيه دليلٌ على قصد موافقة الاسم المسمَّى لما ظهر له من بركته ﷺ، وسؤال الحاضرين يدلُّ أيضًا على ذلك؛ حيث تعجَّبوا من مجرد سماع اللفظ، وذلك إنما كان منهم لما فهموه من خصوص هذا اللفظ، وإلا فهم لم يشاهدوا له ﷺ أمرًا يُتعجَّب منه، وإن كانت كلُّ أموره ﷺ على خلاف المعتاد

فأنعم به من تعجب وجوابٍ ما أحسنهما حيث أنبأا عن الشرف ابتداءً، وها هنا سؤالٌ كنت سألت عنه بعض المشايخ فتوقَّف، وهو أن الشائع أن جدَّه سماه محمدًا بإلهامٍ من الله تعالى، وكان السؤال مني: كل اسمٍ وُضع على مسمى فبإلهامٍ من الله تعالى، ولا بدَّ لكلِّ خاطرٍ يخطر في البال، فما وجه الخصوصية لهذا الاسم؟ ثم أني رأيت في كلام بعض المحققين من أئمتنا ما يشير إلى الجواب من أن الخصوصية هي إلهامٌ ما لم يكن معهودًا ولا مألوفًا، ولا فعله عبد المطلب رجاء موافقته لمن وضع له أولاً، وإنما اخترعه بإلهامٍ من الله تعالى، وذلك أن الاسم لم يكن مألوفًا لهم بأن كان موضوعًا أولاً على رجلٍ عظيمٍ من نبيٍّ أو ملكٍ، حتى يُظنَّ أن عبد المطلب إنما قصد التفاؤل رجاء أن يكون المولود مثل من سبق ممن وُضع له هذا الاسم، فتعجُّبهم من شيءٍ لم يعرفوه سابقًا إنما هو أمرٌ إلهاميٌّ أوقعه الله في قلوبهم؛ لمزيد رفعة هذا الاسم والمسمى، ولا شكَّ أن رجاء عبد المطلب إنما هو بمحض خلق الله تعالى، وإنما ألهمه الله تعالى ذلك لما سبق علمه، وتعلَّقت به إرادته، إن هذا الاسم عنوان المسمَّى؛ ففيه من الأسرار والعجائب ما هي دالَّةٌ على شرف المسمَّى، ويمكن أن يُقال: إن الله تعالى جعل صورة الإنسان على صورة الاسم؛ لمزيد الألفة، فالدلالة على ذلك المسمى فكما أن اللفظ يدلُّ على معناه فكذلك يدلُّ عليه ما رادفه وساواه، أو أن الله لما أراد تشريف الإنسان على غيره جعل له نصيبًا من موافقة صورة لفظٍ دالٍّ على أكرم الخلق، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الإسراء:٧٠].

ولهذا قال ﷺ في الحديث المتقدِّم: «وجعلني في صُلب نوح في السفينة، وقذف بي في النَّار في صُلب إبراهيم»، فيكون إنما يخبأ مما هما فيه ببركته ﷺ.

وفي بيان ما كان في حركات الاسم من الأسرار، وهي أن الميم الأولى أعطيت حركة الضمِّ، وفيها فائدتان:

الأولى: أنها أشرف الحركات، ففي ذلك براعة استهلالٍ بشرف الاسم والمسمَّى، ولهذا لما وُلد ﷺ وُلد وهو رافعٌ رأسه، ففي حديث عطاء وابن عباس: «أن آمنة قالت: لما فُصل منِّي: يعني النبي ﷺ خرج مني نورٌ أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضةً من التراب فقبضها، ورفع رأسه إلى السماء»، فكلُّ من تكلَّم بالاسم إنما يتكلَّم بالرَّفع، وفيه فائدتان: أشار إلى التقدُّم الذاتي وإلى علوِّ الرُّتبة؛ لأن الرفع يأخذ إلى العلوِّ.

فإن قلت: الخفض فيه مناسبةٌ وهي الإشارة إلى التواضع.

قلت: يجاب بأن المخاطب به ابتداءً إنما هو الجاهلية المناسب لهم ذلك، وأيضًا هذا أمرٌ من الله تعالى، ولا يُعارض.

الثانية: أنها تشابه الرفع التي هي إعراب العُمد، كالفاعل ونائبه، والمبتدأ وخبره، وفي ذلك إشارةٌ أيضًا إلى أن الاسم عمدةٌ لكلِّ شيءٍ، فكما أنه لا يوجد كلامٌ إلا وفيه حركة الرفع ظاهرةً أو مقدَّرةً، وفيه أيضًا فائدةٌ ثالثةٌ: وهي أن في تقديم الأشرف إشارةً إلى تقدُّم الشرف الذاتي له ﷺ، وأن الحاء أعطيت حركة الفتح إشارةً إلى فتح بلاد الله ﷻ: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:١٣]، فأيُّ بشارةٍ لهم أعظم من ذلك، وإن الميمين المتوسطتين شددتا في ذلك إشارةً إلى التشديد في وسط أمره ﷺ، ﴿مَا كَانَ

وعلى آله وصحبه وشيعته وحزبه، ما زخر بحر الحقيقة من آدم شفع الوِتر، وفُجِّرت ينابيع مدينة العلم بالذات، ومن بابها العلي المرتضى؛ للقيام بعالم الخلق والأمر دامت على الأصل الحقيقي والجمعي في مظهر الفرعين الحُسنيَّن صلوات الله وتسليماته وتحيَّاته وبركاته.

أما بعد .. فلمَّا لمع من تلقاء شجرة الوادي المقدَّس، وبارق التوحيد، وسطح لي من خلاف أفنان سَرحة شاطئ البقعة المباركة؛ نيَّر التفريد والتاج قلبي، ومن بِطنان العرش الإحاطي سبحات الجمال، وارتاح سرِّي بمعاينة النور الأقدس من معاناة الصور والأشكال، واستدارت على مناطق بواطن الوجود الذاتي في عالم معاهد الأسماء، واستنارت لذي دياجي غيوب الصفات من مشارق مشاهد المسمَّى، وتعدَّلت في تركيب كلماتي من حروف هجائي هياكل الحقيقة، وحزت لِما حزت ما حزت في أمره مما وراء عالمي الأمر والخليقة.

وشعشعت لي أنوار الاصطلام لألأ المدام، ورنت بي ومنِّي ألسن التغنِّي بفنون الأنغام، واستهلَّت مزني من فيضان غيبي اللَدني، فكُلِّلت تيجان ربوات المعارف بأبهى دُرر النظام، وحيي مفيض، وبلى وطلي من فرع، وأصلي بتنـزُّل جمع شملي في أفراد مثلي وشكلي لِما جاء في ظُللٍ من الغَمام، ونَفخت لي أزاهير جنات إلهيات بأعطر من أرج المِسك والعنبر، وهبَّت بأعطر الأنفاس، وأنفس الأعطار توافح الخزامى والعبهر.

قلت : ما البارقُ المضيء؟ وما نفخة هذا العبير في الجنات؟.

قيل: سلمى أتتك وهي ضحوك للتداني.

لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧]، نـزلت في أسرى بدر، حركات الدال المختلفة بحسب الإعراب وغيره فيها إشارةٌ إلى الأحكام الشرعيَّة التي جاء بها ﷺ، أما الواجب فمن حركته الرفع؛ لأنه أشرف، والواجب أشرف من غيره، وأما المندوب فمن النصب؛ لأنه يلي الرفع في الشرف؛ لأنه إعراب المفاعيل الناشئة عن الفاعل وعند حذفه، والمندوب كذلك: أي يلي الواجب في الشرف، وأما المكروه فمن الخفض؛ لانخفاضه وعدم اعتباره، وأما المباح فمن السكون، وأما الحرام فمن مخالفته صواب الإعراب؛ لأن الحرام منهيٌّ عنه، كذلك مخالفة صواب الإعراب منهيٌّ عنه، ويمكن أيضًا أحدها من حروف الاسم الخمسة أو الستة، ولذلك جرى خلافٌ في الأحكام أهي خمسةٌ أم ستَّةٌ بعد خلاف الأولى، فمن كان ذا همَّةٍ عليَّةٍ ويريد المقابلة والمزيَّة فليأتِ باسمٍ غيره فيه ما فيه من الخصال المرضية، هيهات هيهات أن يجد في اسمِ غيره خصلةً مرضيةً، فكيف بألوف من أوصافه المحمديَّة؟ وانظر: فخر الأبرار (ص٣٦٠)، بتحقيقنا.

فقلت: طابت حياتي.

وبينا أنا جلاء كؤوس، واجتلاء عروس، وإسفار وجه حقيقة طالما تبرقع، وميَّله ميل عطف عطف طالما تمتَّع، وهدير حمائم، وخرير غمائم، وجريان نمير، وسيلان غدير، ويم وزبرٍ في روضٍ نضير، تسيَّب لي رياح المسرَّات بأفانيها، وتلحَّن لي حمائم الأفراح بأغاريبها، فما شئت من زهرٍ وخمرٍ وشادن تغنَّى، فينجلي الحُزن الحسبي.

أسمع المزمور من الزُمار، وأتلقَّى الإشعاع من الأوتار، واستملي المبتدأ من الخبر، واستجلي العين من الأثر، واسترق مناظر العِرفان عرائس الحكم، وأستشف من ستائر الحدثان سرائر القدم، وإذا بي أسمع هاتفًا من جميع جهاتي، ومناديًا حلَّ منِّي محلَّ ذاتي يقول:

يَـــاجَليس هَـــذه الرِّيـــاض	وأنِـــيس هَـــذه الغيَـــاض
والمتمتِّـــع بِهـــذه المخَالـــسات	فِي هَـــذه المَجالـــسات
مِمَّـــا تقـــصر عَنـــه المقَايـــسات	مِـــن محَاســـن المقَابـــسات
وتُرجَمـــان لِـــسان الأزل والأبـــد	ومُعـــبر آيَـــات الـــصَّمد الأحَـــد
هَـــل أحْطـــت بِمَـــن أخَطـــت فَـــوق	رَواق الملَكـــوت مَراتـــب الجَـــلال
وزيَّـــن عَـــالم المِثَـــال	بَـــل عَـــين عَيـــب الأحْـــوال
بَل ظهر في لافي حَيث انْقطـع الاتِّـصال	بَـــل أتَـــمَّ ثَـــمَّ وجَـــده الـــتجلِّي

بَل هِي عَلى مَا هي فِي قُدسِ الكَمالِ

قلت: الله أكبر إنَّ هذا لهو القَصص الحق، هذا ملك استغفر الله، هذا وراء عالمِ الخلق، هذا دهشة الألباب، هذا حيرة الطُّلاَّب، وهذا كَنـز الله المطلسم، هذا نفس الوجود النفيس، أين يطلب؟ أم هو لا يتأيَّن كيف يظهر؟ أم يتعيَّن أن لا يتعيَّن.

ما عهدنا طائر أفنان الجِنان يترنَّم بغير مدائحه؛ بل ما سمعنا أن سوابغ أغصان العِرفان تسجع بسوى صنوف منائحه: إنَّ لمع فما البرقُ. أو همعَ فما الورقُ. أو بطن فما سرُّ السريرةِ.أو ظهرَ فما شمسُ الظَّهيرةِ. أو تكلَّم فما الدُررُ. أو هيْنم فما الوترُ. فما هو إلاَّ أن وسمته بما ذكرتُ،

ووصفته بها سطرتُ، إذا بالفطمطم الفيَّاض من كهوف العظموت تضطَّرب أمواجه، والخميس اللهام من جيوش العزِّ تتابع أفواجه، وعجائب الملكوت تنساب انسياب الصلِّ، وأرفعة الملك تُطوى طيَّ السِّجل؟ وبوارق سبحات القيُّوم تخفق وتلوح، وأملاك الأفلاك تقول: سُبُّوحٌ، قُدوس، ربُّ الملائكة والروح، وحم سحاب الكتم، فتصبَّب بغيوث الذكر عرفًا، وحم الأمرُ، وجاء الحق، وآن اللقاء، ثم برزت بتعيُّن التدلِّي في مشارق التجلِّي.

صُورةٌ تخجل البدورَ في الأسْفارِ وتَبدُو لِعيانِي كشفًا بغيْرِ اسْتتارِ تَدخل أنباؤها القلوبَ من الآذانِ بِلا اسْتئذان، وتهتفْ بِأوصَافها أوتارُ العيدانِ، وحَمائمُ الأغْصانِ، طَلعتْ ولكَنْ بدرًا، وفَاضتْ ولكَنْ زَهرًا، وبسَمتْ فَما الحَبابُ غير أنَّ الريقَ سلافٌ، وخَطرتْ ولكَنْ وقعَ الاتِّفاقُ على غَيرةِ أغْصانِ الخِلافِ، أردَافُها تُخجلُ البدورُ جَمالاً، وتَرزِي بالغُصونِ هِزَّة واعْتدالاً، تنفخ لَطائم المسْكِ من أرْدانِها، وتأْخذُ النُّفوسَ بِلطائفِ مَعانِيها، وبَدائع بانها.

قلت: خلَّد اللهُ إشْراقَ شمسِ الجمالِ.

بَقاؤُك وسَلطَنة الجَلالِ بِارتِقائِك.

مَن أنْتِ؟ حتى أطابق صورة المعرفة بحقيقة الصِّفة، وحقيقة الصِّفة بباطن المعرفة، فلقد بهرني منك ما لو تجلَّى على العقول، وكانت المخلوقات كلُّها عقولاً؛ لم يدع منها سُلطانه عقولاً، ولأقام فيها أشواق؛ كأنَّما سقاها شمولاً.

ولولاك راسلت قلبي بلطائف المؤانسة.

ولولاك وانست سرِّي بظرائف المطايبة في المجالسة لتمزَّق أديمه، وذات بلسعِ الهوى سَليمه.

قالت: ومِثلُك يسأل عنِّي، وقعت في التعنِّي، أما كفاك أن ترى حتى ترى مُستخبرًا، ماذا تريد بعد ما صِرت لحُسني مبصرًا؟ وإنَّما كان حقَّك السكون والسكوت، والرغبة في المحو بالثبوت، والاسترسال مع ما يأتيك منِّي، والفناء بجمالي عنك أو بغرامك عنِّي؛ ولكن: أنَا الحاكِمةُ الكُبرى.

أنا مالكةُ زِمام الدُّنيا والآخرةِ. أنَا رِيحانةُ رِياض الأُلوهية، وحَمامة أفنان الصَّمدية، أنَا لطيفةُ اللَّطائفِ، ومُعرَّفة النَّكراتِ، ونكرةُ المعارِفِ، أنَا المِدَّة فَلا ينْتهِي فَيَضانِي، والقَائِلةُ فَلا

يَكلُّ لِساني. أنَا بَحبُوحةُ العرضِ الإنساني، وفَذلكَة التعيُّن الرحَماني. أنَا هاتفةُ غُصن: «**كان الله ولا شيء معه**»(١). كاشفةٌ: وهو الآن على ما عليه كان.

أنَا بارقةٌ: كنَّة الأمرِ في الخلق، وشارقة شمس أنوار الحقِّ من مشارق الأكوان.

أنَا نفثة صدد الأزلِ، وبثَّة ضميره، وحدقة نور القِدم، ومشكاة ظهوره.

أنَا رسولَ الشريعةِ الذَّاتيةِ، وحاملُ أمانةَ الحضرة الفردانية.

أنَا السَّريرُ المصون بالأنوار، والغيب المكنون في الأسرار، أنَا فاتقةَ الأرتاقِ بلطائف سبوحيتي، وسابقة السباق بحقائق أحديتي؛ بل بدايتي غاية أغراض المتوجِّهين إلى حَضْرتي.

أنَا ميمَ الملكوتِ، وهاءَ هَويَّة العَظموت، وتاءَ تَمام حروف اللاهوت، وكلتا يديه عينٌ في إشارات الناسوت، وميمَ الملكِ، ونورَ بحارِ الفُلكِ بها فلك.

فأنَا المهيْمن الأكبر، والمُحيط الأبهر. كمَا كم دارة جمال سطح فيها سُلطاني، وهَالة جمالٍ بَهر منها شاني. وصُورةٌ مقدَّسةٌ قامت بتنـزُّلاتي، وصُورةٌ مكرَّمةُ بهرت بتمثُّلاتي، ومظهر وِجداني تعيَّن بإشراقي، وظُهور فُرداني أخذتُ عليه ميثاقي. وفيضُ صمداني أمدَّه كَوثري، وشُهودُ عَينِي غَيبِي انْطبَع بمرآة بَصري، ورُوضٌ فَتحت يدُ وتريتي أزْهار شفعة، واغرورَقت أحداقُ حَدائِقه بِها طلَّ مَددي وهَمعة، وجَنةُ قصرَت مَقاصيرها عَلى فَرائدِ حِساني، وجُليت بِقُصورِها عَرائسُ حُوريٌّ وولْداني، ولُطفٌ مَعنويٌّ سَكرت فِيه أنْفاسِي، وكِلمةٌ دريةٌ نَظَمها سلكِي، وحُكم دخلَ رفيقُها مُلكي، وبيْت مغمورٌ بِسريَانِ سِرِّي، وأُفقٌ مُشرقٌ يُلألئ بَدرِي.

اللهُ أكبر حارت في الأذهان والفكر وحارت عن إدراك كنهي القُوى والقدر، وسَجدت جِباه المعارف لبرزتي، وشهدت أعداد التعيُّنات بوحدتي إذ هبطت.

قال البهموت: أنا الأثير الأصعد أو علوت.

قال الأثير: أنا البهموت إلاَّ بعد جهاتي واحدة بالنوع، مختلفة الشخص، وطاعة الوجود لأمري فوق العَنان للوكف والبَنان المكفِّ، والمستدلّ للنصِّ، والظلّ للشخص أرْسم حتى تتقاصر عنِّي الحدُّ المطلوب، وأقضي فأوجب السلب، وأسلب الوجوب.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٤/ ١٠٤)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/ ٢٨٩، ١٣/ ٤١٠).

شعر:

وأرى النَّاسُ مُجمعين عَلى فضلِي مَا بَيْن طَارقٍ وتَليدِ

عَرفَ العَارفونَ نُورِي بِالكَشْفِ وأهْلُ الأهْواءِ بالتَّقليدِ

أنا تَقويمُ عَالِمِ الخلْقِ والأمْرِ وسِرُّ التَّعديدِ والتَّوحِيدِ

أنَا مَنْ تُنطقُ الحقائقُ عَنِّي بِلسان التَّقديسِ والتَّمجيدِ

أنَا سلكٌ بِه دَاري المعَانِي فِي انْتظامِ كَلُؤْلُؤٍ مُنضدِ

ورفَت سَرحَتي بِأوْفرِ ظِلٍّ صُمودِي عَلى الوَرى مَمدودِ

ورقَت هِمَّتي وراقت لِقومي وأدارت بِحوضِي المَورودِ

وتَعالى بِأحمدِ الخْلقِ قَدري لِمَقامِ مُقدَّسٍ مَحْمُودِ

وتَجلَّت شَمسِي عَلى طَور نَفسِي بجَمال شِهادتِه فِي وجُودِي

هو أصلٌ وفرعُ أصلٍ ولَكن بَسقت لِي بهِ غُصونُ الجَدودِي

الله أكبر ما مِن علمٍ إلا وأنا ممدة رواته، وحامل راياته، ومُبدأ فيوضاته، ونهاية غاياته، وإن أردت أن تأخذ عني، فسل منِّي.

قلت: قضى يعقوب حوجاه، وبلغ السيل رباه، وتقاذفت دُرر البحر بسيفه، وقطع الظفر عتق العوائق بسيفه.

شعر:

مَن لِي بِمَن يُخبرُ الأنَامَ بِما بلعنيهِ القَضَاءُ والقَدَرُ

أضْبحَ قلْبِي لِفرط وصْلتَه بيْتُ شُهودٍ تُتلى بِهِ السُّورُ

يا له من نعمةٍ تُستقَلُّ عندها عظمة أرباب التيجان، ويقصر عن مبادئ شكرها الملوان، ويُحدَّث عنها بلسان الأبدية الأطيان، ويستضيء بنورها من مشارق الأزلية القمران، ويتعمَّر من فيوضاتها الصمدية العمران.

من أين أن تُبرز دُمية فخر الأزل؟ تتبختر في غلائل الغزل، ناشرة على لآلئ شهودها، ناثرة لدى لآلئ عقودها، تبعث وعي الحليمة ما يبعث بعقلي من شمول كلامها، وتدبر على ما بجمع تفرقة قلبي عن ربِّي كؤوس مُدامها بَيْد أنها الغيب، وإن شقَّت الجيب واليقين، وإن حصل فيها لأهل الأهواء الريب والنور، وإن دجى ليل أسرارها والمجرَّد، إن آثارها عجب من عجائب البَرِّ والبحر، ونوع فرد، وشكل غريب.

كم كاملٍ أرسل في تأمُّلها جواد فكر، فكَّر على عقبيه راجعًا، وعارف بالأصل وفروعه فزعه عزُّها، فظلَّ في مجاهل الحيرة هالعًا، وفيلسوف ظنَّ ما ظنَّ على مصغية عقله نباهًا فنبا حُسام نظره، وما قطع، ومتطاول إلى الأوج يقتحم العقاب مع الفوج، زلَّ عنها قدمه قدم إقدامه فوقع.

هي أمر الله؛ ولكن اسجد لتجلِّياته الجباه وسرِّه؛ ولكن أودعه مَن اصطفاه، ونوَّر المشرق من مشكاة الصور، وروحه السَّاري في مساري الفطر، وفريدة حضرته المؤتمرة على مملكة الوجوب والإمكان تقوم لهذه بالبرهان، وفي هذه بالعيان، تترامى إليها قلاص الأشباح من كل فجٍ عميق، وتطوَّف أشخاص الحدوث بيتها العتيق، مخطوبة القبليات النورانية، وعروس منصاب الفاعليات الربَّانية، جلت أن تكتنهها عقول، عقلها الوهم، وعزت أن تحيط لها نفوس ،حصرها الفهم، وتقدَّست عن وفاء المثل بحقيقتها، وتنـزَّهت عن قيام الأوضاع بحقِّ قوميتها، هي بحرٌ؛ ولكن ضاق نطاق الأقطار عن فيضانه، ونهرٌ شقَّ جيوب القلوب، وملأ أودية الغيوب بنورانه، وروضٌ؛ ولكن عطرٌ، فعطل أنفاس الحور في الجِنان، والعرف الساري في الرفارف، والعبقريّ الحسان، ولقد ظننت، واستغفر الله لهذه الحضرة من تطرُّق الظَّنِّ إليها كيف وهي لو تُصوِّر اليقين؛ ما زاد عليها، إنَّ بارقة من سواقط ذلك الروض لا يُقصد شميمها، ولا يتنسَّم نسيمها، ولو نفحت على أناف مَن عقدوا أنف الأنفة على السُّها، وأصبحوا وإلى أعتابهم المنتهى؛ لتركتهم سُكارى، وغادرتهم حيارى.

فما الظَّنُّ: بزاهرت صينت عن النواظر في المناظر، وأُعدَّت لأكابر الأعيان، الأعيان والأكابر.

مِن كلِّ نافحةٍ هي هيولي نوافح الأعطار، ورائمة آتية بالعبير في كافة البلاد والافكار، مُنـزَّهة عن التماس الطالبين، ومُقدَّسة عن استلام الراغبين، إنَّما يشتمها مَن مَنَّ التعيُّن الذاتي

به عليه، وصار لا دال ولا مدلول؛ إلاَّ وهو منه وإليه، وحداني الجمع؛ بل هو على هُويَّته مُحال بل مُحال.

كيف! والجمع لسان التثنية التي تقدَّس عنها الواحد، وإن تعدَّدت الأشكال على أن ذلك الروض ما نسجت بروده غير أنامل غمائم الغيب، ولا فرَّقت مطارفه غير أيادي نسائم شققت عن الكمائم الجيب ترمقه العيون، فكلٌّ باصرةٍ تُرى على مِقدار جلائها، وتلحظه اللواحظ، فكلٌّ تشبهه على حسب صفاتها، وعلى وزان نظرها تستعيد وصفًا، وعلى نسبة ملاحظتها تستفيد كشفًا.

وربَّما كان الناظر بما استفاد منها، وتلقَّاه عنها إليها ناظرًا، ولعينها باصرًا، فيتفاعلان بألطف من المدام بالمزاج حتى كأنَّهما واحدٌ في المزاج، ولن يزال يزداد، ويزدان حتى يصير القابل فاعلاً حكيمًا، تنفعل به كافة الأعيان من كلِّ مستعدٍّ للروح، وسريانها متهيئ لأسرار النفس الرحماني في فيضانها، قابلاً لاجتلاء ذاك الجمال، واجتناء ثمرات الوصال، ومترشِّح لاشتمام ذاك النفس الذي نُفخ، ومتوشِّح باشتمال برود المواهب والمنح؛ لكن لا تنـزُّل من غمائم المواهب قطرة مدد إلا بإذن وراد من قابوس الحضرة، وافد من لَدُن الأمر الإلهي لأهل الجمع، الذين لهم بالفرق بين الوردات أتمُّ خبرة، ثم ذلك الإذن على أقسام: الواقع أوليًا في الغالب لمة ملكية بالقلب النوراني، تنفث في الورع الإنساني.

وثانيًا: سماع هاتف في وجوده منه لوجوده منه له يكلِّم، وعليه يهيتم ويترجم.

وثالثًا: المرتبة الكبرى التي هي بالتقدُّم أحرى، وإليها تنتهي همم الرجال، وهي سِدرة منتهى إجمال الأحوال، وذلك ألا يتقيَّد العارف بصورة في الإذن خاصة، وربَّما كان ينطق بعض الكائنات، ولو من أعضائه، وربُّما سمع من جهة، وربَّما من جميع الجهات على حسب ارتقائه، وربُّما كان ذلك بمشافهة بعض الملائكة الكِرام، والتلاقي مع تعيُّنات بعض المرسلين - عليهم، وعلى نبينا الصلاة والسلام - وربُّما كان يثلج صدره، ويشرح قلبه، ويفسخ سرَّه.

وحاصل الأمر: إنَّه يخلق له بالإذن الإلهي علم ضروري لا تنضبط أسبابه؛ لأنه العارف الذي اتَّسع للتنـزُّل الرحماني، وانفهق بينه وبين الله بابه؛ بل ربَّما أخذ هذا الإنسان شبهة بيِّنة عن الأكوان، ورقد حسية عن الأعيان، فلا يشعر إلا وقد أشرق النور، وارتفعت الستور، واذهب سلطان الصباح عساكر الديجور، ومُزِّقت الغواشي، وقَضى ناموس العظمة على الأعيان بالتلاشي.

واهتزَّ عرش الإنسانية، ثم انقضت دعائمه، ثم انقضت مراسمه؛ حتى لم يبقَ من الإنسان إلا ما كان يوم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩][1] أو حكم: «خلق آدم على

(١) **وقفة مفيدة عند هذه الآية:** وكان خلق روحه من تأثير تجلي ذاته، فأصلها أيضًا يتجلى جميع صفاته، فحبسها في حجال غيب الغيب وغيب غيب الغيب، وسترها بقباب غيبه من أعين الملائكة، ثم ألبس طينتها وصورتها لباس الغيرة؛ فنظرت الملائكة إلى صورة المعرفة من قلة معرفتهم بجلال قدرها، وأعمى الله إبليس عن رؤية ما في صورة آدم عليه السلام حتى تفاخر عليها، فلما أراد سبحانه إظهار صنيعه في ملكه وملكوته وجلال صنيعه الموجود جاء بروحه التي انقدحت من نور تجلي الذات والصفات بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ، وأدخلها بنفخة المنزّه عن همهمة الأنفاس الحدثانية في صورته؛ فقام بإذن الله ملتبسًا نور الصفات والذات، وجلس على بساط سلك بقائه فصار مختار من بين الفريقين الجن والملائكة، أيضًا لأن الملائكة خُلقت بأمر واحد وكان آدم عليه السلام خُلق بتجلي الذات والصفات فشتان بين آدم عليه السلام وذريته، وبين الملائكة وبنيه، وبين إبليس وجنوده.

قال بعضهم: الأشباح مزدولة قيمتها؛ لأنها خرجت من تحت ذل كن، وأظهرت من الصلصال والحمأ المسنون.

قال الأستاذ: ذكرهم نسبتهم؛ لئلا يعجبوا بحالتهم.

ثم أخبر سبحانه الملائكة بخلق آدم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ إخباره لهم من خلق آدم عليه السلام افتتاحه لهم أبواب خزائن ملكوت الأصغر ليريهم ما في عالم الكبير وما فيه إياهم في عالم الصغير، وهو الإنسان ليشاهدوا عجائب صنعه وقدرته ويروا فيها جمال جلاله؛ لأن آدم عليه السلام كان مرآة الحق في العالم مَنْ يراه يرى آثار الله فيه.

قال جعفر: امتحنهم ليحثهم على طلب الاستفهام؛ فيزدادوا علمًا بعجائب قدرته ويتلاشى عنهم نفوسهم، ثم أعلم الملائكة محل جوده ولطائف جوده في آدم عليه السلام ليروا آيات بهائه وتخضعوا لجلاله بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ أعلمنا أن مزية آدم عليه السلام على الكل بتشريف تسويته ونفخه روحه فيه وإن كان شريف في الأصل فطرة طينه شرفه كان لله، ومباشرة أنوار ذاته المنزّه عن الحلول والاجتماع والافتراق؛ فيصير قبلة الله في بلاده وعباده فإذا ظهر لكم فاسجدوا له عند معاينتكم أنوار قدرتي وعجائب لطفي.

قال أبو عثمان: إذا خصصته بإظهار النعت عليه من خصائص الروح وبيان التسوية فدعوا مجادلتكم وارجعوا إلى حد القهر والتعبد له.

قال الواسطي: لما نفخ الروح في آدم عليه السلام جعل معرفتها معرفة الحق إياها، وعلمها علم الحق بها قصودها مرادات بابها على محابها، فلما احتجب الملائكة بالصورة الصلصالية والرسوم الشجية عن جمال روحه وما صنع الله بعزته وصمديته وجلال جميع صفاته وذاته في تسويته وصفرته حين لم يشاهدوا عين الجبروت والملكوت فيه، ولم يروا صور حقائق اللاهوتية في مرآة الناسوتية، واحتجوا وجادلوا بقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ ترحم عليهم الحق سبحانه بأن رفع حجاب الغيرة عن وجه آدم عليه السلام دلالة منه لهم به إليه ليعرفوا ذلهم وغره فرأوا أنوار الأسماء والصفات وسنا سبحات الذات في
=

صورة الرحمن»(١)، ثم يُنصب عرش الجبروت، ويحضر خُدَّام العظموت، وتضطرب بحار

-

وجهه، ورأوه ملتبسًا بنوره ونور نوره، وما عليه من كسورة ربوبيته؛ فتاهت قلوبهم، وفنيت عقولهم من صولة جلاله، وخروا له ساجدين من شدة حبهم له وشوقهم إليه، وتصاغرت نفوسهم بين يديه وذلك قوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ سجودهم لما بدا من آدم ﷺ من نور الحق؛ فسجدوا له لا له بالحقيقة بل سجدوا للأزلي الأبدي المنزه عن إشارة الزائغين، وتهمة المبطلين، وأوهام الغالطين، ولم ير إبليس ما رأت الملائكة؛ لأنه كان من عالم القهر محجوبًا بالقهر عن رؤية جمال الحق في آدم ﷺ بقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ ، ولو أدركه بتلك الصفة سجد له في كل لمحة ألف مرة. قال بعضهم: أبصر الملائكة من آدم ﷺ هيكله وشخصه، ولم يشاهدوا إضافة الروح إليه واختصاص الخلقة به واستقامة التسوية وتعليم الأسماء والإشراف على الغيب فنكلوا على السجود؛ فلما أظهر الحق تعالى هذه الخصائص سجدوا له وقالوا: سبحانك أنت تخص من تشاء من عبادك بخصائص الولاية، وتنعيه بنعوت الربانية، وتجريه إلى بساط القربة، وأنت الفعال لما تريد.

قال الواسطي: الفرق بين روح آدم ﷺ وبين الأشياء كلها تسوية الخلقة وتخصيص الإضافة، فقربت من الله وعرفته ومكّنها من حكمها ففنت وغنمت، ورجعت إليه بالإشارة وقطعت عنه العبارة، وذلك كله من عجز الفخر إذ لم يلبسها ذل القهر؛ فزينها بخلقه فتخلقت بخلقه، وتأدبت بصفته فكانت به تنطق وبإشارته تعقل، وهذا تفسير قوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [العرائس لروزبهان البقلي].

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٤٣٠)، (١٣٥٨٠)، والدراقطني في جزء الصفات (٤٥)، (٤٨)، (٤٩)، بتحقيقنا، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٧)، والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (٢/ ٨٣١) عن ابن عمر، وأبي هريرة مرفوعًا.

قلت: أما حديث ابن عمر فرجاله رجال البخاري، وقد ضعَّفه بعضهم لعلة عنعنة حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، وكذلك الأعمش. وأما حديث أبي هريرة فرجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة؛ فإنه سيء الحفظ.

وبالجملة: فهو صحيحٌ عند أهل الكشف ﷺ وهذه الرواية ذكرها ﷺ في الباب الخامس من «الفتوحات» وقال: إنها صحيحة من طريق الكشف، فمَن أعربه بدلاً أشار إلى التحقيق بمقام الجمع الذاتي وفناء الصفات. كما قيل: التوحيد إسقاط الإضافات وهو مقام أن الله خلق آدم على صورته، وذلك وجود العبد في مقام قُرب الحق في حدِّ الخلافة فافهم. وأمَّا من أعربه نعتًا فإنه أشار إلى رتبة الجمع الصفاتي، وهو من مقام خلق آدم على صورة الرحمن وهذا مقام الوراثة ولا يكون إلا بالحجاب، وهو المعبَّر عنه بالمثل، وفيما قررناه دلَّ على ما أضمرناه لمن له قلب.

وقال سيدي علي وفا في المسامع: اسمع: «خلق الله آدم على صورته» بما نفخ فيه منه بلا واسطةٍ، وقال السيد الكامل عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: «إن في وجهه مسحة مَلَك»: أي شبه ملك بما النافخ فيه ملك. اسمع: المَسحة: الشبه، ومن ثَمَّ يُسمَّى المسيح مَسيحًا لروح القدس النافخ له في مريم، فافهم.

الجلال، وتتلاطم أمواج المعية الشبحانية بعزَّة الملك المتعالي، ويتجلَّى الله ﷻ عن المثال، ويسمع به عبده منه الإذن الصريح، وسيظهر له الشأن ويتيه، فإذا أفاق لم تفارقه صبغة ذلك النور؛ بل يبقى معه لوائح البطون في الظهور.

ولنرجع إلى ما سبقت له هذه الرسالة، وغقت لمراسمه هذه الدلالة إجابة رسول صون العلوم الإنسانية عن مسألة تدلَّت له في حقائق ما بطن منها رفاف العبارة عنها؛ فيفيق بأمر الله في خلق الله حاكمًا، وبأسرار شريعة مورثه ﷺ عالمًا حاكمًا، مبنيًّا على قواعد التجلِّي الذاتي أساسه، وعلمًا مشرقًا بنور الاختصاص الصمداني نبراسه، سالمًا بالله تعالى من شوائب الابتداع.

فإن الله تعالى جعل الميزان الأعظم لكلِّ عارف، وما سواها بالنسبة إلى حقيقة هداها؛ وإنَّما هو لوامع الزخارف، والمتجلِّي بالله تعالى؛ منغمس في بحار الجمع، فالله ﷻ له البصر والسمع، كما شهد به الحديث، ودلَّ به القديم على الحديث.

وإلى الله يرجع الأمر كلُّه مجمله ومفصَّله، وصلَّى الله على مَن تحقَّق بالنور الأعظم في أشرف منزلة؛ فكان ولا ظلَّ له وأصحابه آمين.

تمّت بحمد الله

الكلام على أسرار البسملة

تصنيف

الشيخ نور الدين حسن بن موسى بن عبد الله الباني الكردي الشافعي القادري

المتوفى ١١٤٧ هـ

تحقيق وتخريج وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

ترجمة الشيخ المصنف

هو سيدي الشيخ القطب، الفرد الغوث، الإمام الجامع بين علمي الظاهر والباطن، صاحب المجاهدات والرياضات، الزاهد العابد الناسك الصالح، المحقق المدقق:

أبو الضياء نور الدين حسن بن موسى بن عبد الله الباني الكردي، الشافعي، القادري. نزيل دمشق.

من أجل تلاميذ سيدي عبد الغنى النابلسي – رضي الله عنهما.

ولد ﷺ سنة خمس وتسعين وألف ببلاد الأكراد، وطلب العلم، وسلك طريق الصوفية، ثم قدم دمشق سنة أربعين ومائة وألف وتوطنها.

واجتمع بالأستاذ النابلسي وأخذ عنه، وألف مؤلفات نافعة كـ «شرح مواقع النجوم»، و«شرح الحكم» للشيخ الأكبر، و«شرح الرسلانية»، و«حاشية على شرح السنوسية» للقيرواني، وشرح عوامل الجرجاني، شرح تصريف الغزي وغير ذلك.

وكانت وفاته ﷺ يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة، سنة سبع وأربعين ومائة وألف، ودفن بمرج الدحداح، وقبره ظاهر يُزار، رحمه الله تعالى، ونفعنا به آمين.

وانظر: الورد الأُنسي في ترجمة سيدي عبد الغني النابلسي لتلميذه العامري الغزي (مخطوط قيد التحقيق).



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الباني ﷺ ما نصه: قال الحق بلسانه كما هو المقرر في أزله: ﴿بسم الله﴾ أي: جميع الصفات الكمالية الدَّالة عليها هذه الحروف يعني ب س م الله إن كانت الإضافة لامية، أو هو اللَّهُ إن كانت بيانيَّة.

وحقًا يكون الوجود واحدًا، والتعدد بالتقيّد والتعين، وتكون العينية من حيثُ الظهور والوجود، ولا من حيثُ الذات، واللَّهُ ذات متصفة بأسرار حروفه الخمسة أي: ال ل ا ه بناء على أن اللفظ حاكم على الخط.

وبيان هذا أن (الباء) حرف شريف في المرتبة الثانية من الوجود، ومِن شرفه افتتح الحق ﷻ كتابه العزيز به فقال: ﴿بسم الله﴾ في أول كلِّ سورة حتى في السورة التي لا بسملة فيها ابتدأ فيها بالباء، فقال: بداية من الله وهو الحقيقة المعقولة المسمَّاة بالعقل الأول، والقلم، والعدل، والحقِّ الذي قامت به السماوات، والأرض قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وهو أول موجود خلقه الله؛ لأنه تعالى واحد ولا يصدر عنه إلا واحد، وهو الصحيح.

كما قاله الشيخ- الأكبر- في كتاب «الباء»: «والأشياء ظهرت بالباء، فالألف في الحقيقة وحداني الذات في المرتبة الأولى، وظهرت في الثانية من الوجود فسُمِّيت باء حتى تمتاز عنه ويبقى اسم الألف له والواحد ليس بعدد، والباء عدد؛ لأنه اثنان من جهة المرتبة، والأشياء عدد، فصدر العدد من العدد، وبقي الأحد الصمد مُنـزَّهًا عن الضدِّ والندِّ والولد، وهي مجهورة من العالم المجهور؛ فإنها أصل الظهور وما تعلَّقت معرفة العارفين إلا به، وما شهدت أبصار الشاهدين إلا إيّاه، ولا تحقق المتحقِّقون إلا به؛ لأن الأحدية باقية على التنـزيه؛ إذ الأحد عزيز منيع الحمى لم يزل في الحمى لا يصح به تجلي أبدًا إلا بالتجلِّي الأول»، فافهم.

وكذا قال الشيخ -قُدِّس سرّه-: لا تطمعوا إخواننا في رفع هذا الحجاب أصلاً، فإنكم تجهلون وتتعبون، لكن قوّوا الطمع في نيل الوحدانية، فإنكم فيها نشأتم، فالباء كلّ شيء، والظاهرة في كلِّ شيء، والسارية في كلِّ شيء، وبها كان كل مجهور فصارت حرف مجهور، ولها مشاركة مع الميم، وإن كانت من عالم المهموس؛ لأنها ظهرت في العين عنها، وفي الحقيقة عن غيبها فلأجلِ هذا كانت الميم من العالم المهموس وهو الخفي وإن كانت حرف جهر في

اللسان، والسين مهموس، فالباء لها شركة معها أيضًا، فاجتمع الكلُّ في كونهم حروف الاتِّصال، والوصلة واصلة الباء بالهاء على ما قاله الشيخ في الكتاب المذكور: قلبت الهاء همزة؛ لأنها أخت الهاء، والباء هو النكاح، وكذا الباء، والهاء في آخر الباء إشارة إلى أن الباء هو الهاء، والهاء هو الباء ولابد في كل نتيجة من أصلين، وهما المقدمتين: تنكح أحدهما الأُخرى فالوجود المحدث نتيجة، فلما توجه الحق على الباء وهو الموجود الثاني امتدَّ من الباء ظِلِّ الكون عند مقابلته كامتداد الظلِّ من الجسم عند مقابلة الشمس، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان:٤٥].

فالظِّل يخرج على صورة الممتد منه، كذلك الكون خرج على صورة الباء.

فصحَّ أنه خلق العالم أو الآدم على صورته.

والنقطة التي تحتها لكي لا تلتبس صورتها بصورة ظلِّها، فبها تمتاز عن الياء والثاء وغيرهما، فهي مبدأ كل شيء، والباء مبدأ الأول، فالأول للأول، وجُعلت في التحت إشارة إلى أن ظهور الكون من الباء في السفل، وهو المرتبة الثانية من الوجود، فالباء ثوب الحقيقة، والكون غيبة فيها، وهي غيب في الحقيقة، فالكون ينسلخ منها، وهي لا تنسلخ من الحقيقة.

وفي الباء معنى البقاء، فتدل على أن الحقَّ هو الباقي، وأن بقاء الخلق به، وبه قيام كل شيء.

فحكى الشيخ الأكبر عن شيخه أبي مدين[1] رضي الله تعالى عنهما أنه قال:

«ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الباء عليه مكتوبة» كأنه يقول: بي قام كل شيء.

فوجوده تعالى بذاته، وصفاته كلها قائمة بذاته كوجود العالم كله علوه وسفله به، وقائم بقيوميته، وتدلُّ أيضًا على بهائه وبلائه لأنبيائه وأحبائه، وفيها وجوه متعددة من الاستعانة والإلصاق، والملابسة والتبعيض، والظرفية والسببية كلها تعطي البقاء.

ولذا قال الشيخ -قُدِّس سرَّه-: فيها دعوى من حيث بقاء الرسم، ولا تعطي الفناء

(١) هو الغوث الأكبر، المتصرف في تعيين الأقطاب، وتنصيبهم، بإذن من الحضرة المحمدية، وهو من أعيان مشايخ المغرب وصدور المقرَّبين، يعرب بالغوث، وشهرته تغني عن تعريفه. انظر في ترجمته: طبقات الشعراني (١/ ١٣٣)، والانتصار (ص٤٥١) بتحقيقنا.

مثل اللام، فإذا قلت: «كتبت بالقلم»، فقد أثبت نفسك كاتبًا، واستعنت على الكتابة بالقلم، فالأشياء كلها ظهرت باستعانة الباء، وهو السبب الذي عنه وجدت ومنه ظهرت وفيه بطنت، وإليه إشارة الشبلي -قُدِّس سرّه- لـمَّا قيل له: أنت الشبلي فقال: أنا النُّقطة التي تحت الباء، وتعطي الإلصاق أيضًا كما في «مررتُ بالمسجد»، فكما قال الله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧]، فألصق الذهاب بالنور كإلصاق المرور بالمسجد، والنور هو الباء والباء نور السماوات والأرض وهو الحق الذي قامت به، وتعطي الظرفية كما في «صليت بالمسجد». وكنا صادرون من فوقها، وكنا موجودين فيها قبل وجود أعياننا، وأمَّا إعطائها التبعيض؛ فلأن الذات وإن كانت واحدة لها وجهان الغيب والشهادة، والظهور والبطون، والأول والآخر وغير ذلك، وكل من هذين الوجهين يصح أن يُقال: أنَّه بعض الذات، فإن كشف الذات من حيثُ الشهادة لا من حيث الغيب، والعِلم بها من حيث الغيب لا من حيث الشهادة، فلا يُعَايَنْ من الذات إلا الوجه الواحد الذي يدلُّ عليه الذي ظهر عليه، ويُغيب عنه الوجه الآخر، فلا يشهد شاهد إلا بعض الذات بهذا الاعتبار، وتكون الباء زائدة كما في ﴿كَفَى بِاللهِ شَهِيداً﴾ [النساء:٧٩].

وأمَّا فيما نحن بصدده؛ فلأنه يستحيل مؤثر بين مؤثرين لا مقدور بين قادرين، فالقدرة القديمة لها الأثر بالبرهان، والحادثة لا أثرَ لها بالدليل الرَّاجح والعيان، فإذا وُجد أثر في الشاهد عند القدرة الحادثة فالعقل يحكم أنها قدرة صحيحة ثابتة عينها، وأن الأثر وقع عندها لا بها، وأن القدرة القديمة هي التي لها هذا الأثر.

فالباء ليس لها أثر، وعينها ثابتة لكنها زائدة في حضرة الفعل، ولذا صارت النقطة عين التوحيد الحاجز بين الكون، والباء يمنع الكون من الشركة والدعوى فيبقى التوحيد معصومًا محفوظًا في الخلق، فلو كان الأثر للباء لما كانت النقطة، فالأثر للنقطة والباء زائدة؛ لكن الأثر عند الباء فما من شيءٍ إلا والباء عنده فما من شيءٍ إلا ونقطة الباء فيه، وفي هذا المعنى قيل:

أيـــا عَجَبًـــا يَعْـــصِي الإلـــهَ ... أَمْ كيـــفَ يَجْحَـــدُهُ الجاحـــدُ

ولله فِي كـــلِّ تحريكـــةٍ ... وتَـــسْكِينةٍ عِلـــمٌ شـــاهدُ

وفي كـــلِّ شيءٍ لـــهُ آيـــةٌ ... تـــدلُّ عـــلى أنَّـــه واحـــدُ

وتلك الآية هي الوحدانية أيّ: وحدانية الشيء لا غير فليس عالٍ وسافلٍ إلا عارفًا بالوحدانية لخالقه، فما عبد عابدٌ إلا هو تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] أي: حَكَم وحُكمه ماضٍ نافذ ليس في وسع الخلق إمكان رده، فالشريك في الحقيقة هو الأحد، وليس المعبود الشخص المنصوب، بل إنما هو السر المطلوب، والمعبود هو الرب والله هو الجامع، فالمشرك يقول: بالواحد، لكن من مكان بعيد، فشقى بالبُعد، والمؤمن يقول به: من مكان قريب فسعد بالقرب، فكل عبادة قامت عن أمر أُثنى عليها، فما لم تقم عن أمر ذُمت ولم يُثن عليها إلا إنها قامت على المشيئة المستوية للذات الأحدية.

قال الله تعالى: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِّ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]، فعلم أن لها حقًا يجب رعايته، وحفظه للغيرة الإلهية، ولولا تخيل المشرك في معبوده سرَّ الأُلوهية لما عبده أصلاً، لكن الحقَّ قرن السعادة بأمر المشيئة، والشقاوة بإرادتها، وما عبد أحد إلا الرب، فإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]، فما قال: بعبادة الله؛ لأن الأحد لا يقبل الشركة بحال، والعبادة ليست له، وإنما هي للرب، فلذا قيل العبودية: القيام بحقوق الربوبية.

قال الشيخ -الأكبر- قُدِّس سرَّه: «اعلم أن العبد لا يكمل شهوده وعبادته لله تعالى إلا إن شاهده وعبده من حيث أوليته المنـزهة عن أن يتقدمها أولية من حيث أولية العبد من أوليات كثيرة قبله، فإذا وفقَّ العبد، وعبد ربه من حيث أوليته تعالى انسحبت عبادته من هناك على كلِّ عبادة عبدها أحد من المخلوقين إلى حين وجود هذا العابد».

وقال الشَّيخ الشَّعراني ﷺ: «وهو أمر نفيس ما سمعناه من أحد، ففيه إشارة عظيمة إلى السِّر المذكور عند أهل الأفهام، فعلم مما قرر أن المعبود بكل لسان، وفي كلِّ حالٍ وزمانٍ إنما هو الواحد، وكذا العابد من كلِّ عابد، والمنكر لهذا جاحد، فما ثَمَّ إلا واحد والاثنان، والثلاثة، والأربعة، وغير ذلك إلى ما لا يتناهى إنما هي واحد لا تجد سوى الواحد، وليس ثَمَّ أمر زائد، بل إن الواحد ظهر في مرتبتين معقولتين فسمِّي اثنين كما ترى، ثم ظهر في ثلاث مراتب صار هكذا، وسمِّي ثلاثة، ثم في الرابعة هكذا، ثم في الخامسة هكذا، ويسمى أربعة وخمسة، فبظهور الواحد في كلِّ مرتبة ظهرت تلك المرتبة، وبزواله عن كل مرتبة فنيت، فإذا عدم الواحد من الخمسة عدمت، وإذا ظهر، ظهرت وهكذا في الكلِّ، ولا يلزم من عدم الخمسة عدم الواحد، فتفطن لهذا واحذر من الاتِّحاد، فإنه لا تكون الذاتين واحدة، بل إنما هما

واحدًا، ألا ترى إذا ضربت الواحد في الواحد لا يحصل إلا الواحد». قاله الشَّيخ قُدِّس سرَّه، وكل ما قلته أو أقوله، إمَّا قاله الشيخ أو أشار إليه أو مستنبطًا مما قاله.

وما حاصله: أنه لا تصح نتيجة قط عن واحد، وإنما تكون النتيجة بظهور معنى الوحدانية في مرتبتين، وبازدواج الواحدين يظهر الموجود، فليست النتيجة الاثنين كما خيل من قيَّد بالقوتين المثبتتان للدارين، وهما الوهم والخيال المثبتان أيضًا للواحد الفرد المتعال، فإنه لا بد للإنتاج من وجه خاص هو كون الحُكم أعمّ من العلَّة أو مساوٍ لها، وأن يكون على شرط مخصوص، وهو تكرر الواحد في المقدمتين، فلا ينتج البرهان إلا إذا كان من مقدمتين كل منهما من مفردين أحدها خبر عن الآخر، فيكون واحد من هذه الأربعة متكررًا في المقدمتين.

فإذا أردنا الاستدلال على أن النبيذ حرام نقول: هو مُسْكِر وكل مُسْكِر حرام فبالضرورة ينتج أن النبيذ حرام لا خلاف في النتيجة، وإنما الخلاف في أن الحُكم صحيح أم لا وهو أمر آخر، والغرض وجود النتاج لا ظهور الصدق والكذب، وإن الأنثى والذكر ما انتجا إلا بالحركة المخصوصة على الوجه المخصوص، فلا إنتاج بوجود الاثنين لا من الأُنثى والذكر ولا من المقدمتين ما لم تكن ثَمّ حركة مخصوصة على الوجه المخصوص، فالحق تعالى أوجد العالم من كونه ذاتًا قادرة فهما أمران الذات وكونها قادرة.

ولا يظهر شيء إلا بالتوجه للإيجاد وكونها متوجهة غير كونها قادرة فهذا حُكم ثالث، وقد أثبتنا أزلاً ذاتًا قادرة وما كان الوجود والظهور لشيء لعدم الحُكم الثالث الذي هو التوجه، فهو الواحد الفرد فلا يظهر شيء إلا بوجود التوحيد.

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَه وَاحِدٌ﴾ [البقرة:١٦٣]، ولا ظهور للواحد إلا بالمعنى دون الاسم فلولا معناه لم يوجد لشيء عين، ولو ظهر بالاسم لم يكن له عين، فانظر إلى الواحد بالنسبة إلى الأعداد حتى تفهم المراد فمهما زال معناه في عدد بطل الوجود، ومهما ظهر اسمه بطل الوجود انتهى.

فثبت بهذا أن جميع النتاج لا يكون إلا عن الفردية فبالأحدية ظهرت الأشياء لظهورها عن الله الواحد من جميع الوجوه بثلاث اعتبارات هي أصل النتائج كلها كون الذات، وكون القادر، وكون التوجه، فبهذه الوجوه الثلاثة ظهرت الموجودات.

وأمَّا (السين) فهو الواسطة بين الباء الذي هو القلم الأعلى، والميم الذي هو دائرة

الوجود، ولها الاتِّصال القبلي والبعدي كالباء، أو الميم وغيرهما بخلاف الدال والذال والراء والزاي والألف والواو، فإن لها الاتِّصال البعدي دون القبلي، والسين من المهموسة بالاعتبار المذكور من ظهورها بها كما أنها كذلك في الحقيقة، ومع ذلك لها مشاركة مع الباء من حيث الاتِّصال كما مرَّ ومع الميم كذلك؛ ولذا صارت رابطة وواسطة بين الباء، والميم، بل هي عين الحجاب بينهما يمنع تداخل البعض في البعض، ولها مشابهة بعين الأعيان وغين الأغيار، وشين الشهود من جهة إعداد البسائط كتشابه الألف مع الراء، والزاي واللام وغير ذلك، وتشابه الميم بالنون والصاد والضاد وغيرها من الجهة المذكورة، وينوب مناب الشين، كما أن العين تنوب مناب الغين فافهمه، وكما أن السين لها مشاركة للباء فيما ذكر كذلك هي باءات ثلاث في الأصل؛ لأن فيها ثلاث علامات كل منها باء برأسه، ولها من المراتب الستة وهي من العشرات ستين، والعشرات هي المرتبة الثانية من الفردية كما أن الباء ثانية الوحدانية، والفرد قريب من الواحد فالفردانية قريبة من الوحدانية، فحصل للسين بهذا الاعتبار شبه بالواحد؛ لأنها من العشرات، وهي رأسها العشرة، كما أن رأس الآحاد الواحد، والمئات المائة، والآلاف الألف، فالعشرة وكذا المائة والألف في العشرات والمائتين، والألوف بمنـزلة الواحد في الآحاد، فالآحاد من الاثنين إلى التسعة حاصلة بتكرار الواحد، كذلك العشرات من عشرين إلى تسعين حاصلة من تكرار العشرة، فالسين حصلت من تكرار العشرة ست مرات، كما أن الباء حصلت من تكرار الواحد، فحصل للسين أيضًا مشابهة بالميم أي: من جهة مجاورة الميم لها؛ لأنه بالأربعين وهي قريبة من الستين وحاصلة من العشرة كالسين، ولها أيضًا مشابهة بالكون وبكنَّ وبجميع ما كان آخره نون. والنون أولها كآخرها، والواو حجاب بينهما فنشأة العالم كرة نصف الكرة منه حسِّي، ونصفه غيبي كالفلك نصفه ظاهر، ونصفه غائب عن الحس؛ لأننا في الأرض والأرض حجاب عليه، ولذا نحجب بكوننا في عالم الطبع وظلمته عن إدراك عالم الأرواح الذي هو النصف الآخر من كرة النشأة، فلا نشاهد إلا آثاره فما ظهر في الرقم من النون إلا نصفه، والنصف الآخر المغيب مقدر عليها كما صوره الشيخ قُدِّس سرُّه هكذا ں فالتحتانية هي الظاهرة في كن، والمحسوسات ظهرت عنها، والروحانيات ظهرت عن الفوقانية.

ولذا قال الشيخ قُدِّس سرَّه: إن الواحد الجسماني ظهر عن الفَهوانية(١) أي: خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال، والواحد الروحاني ظهر عن معنى الفهوانية وهو عينها، والواو فاصل يأخذ المواهب من النصف الأول العلوي، وتلقيه إلى النصف الثاني السُّفلي، واتصلت بالعلوي دون السفلي؛ لأن الواو روحانية الذات حيث وُجِدَ في الهوية، وهي غيب فيها والهوية حفظ الغيب، وإن فيها ما هو من مراتب أسرار الحروف وهو كون أوله كآخره، وآخره كأوله كالميم والنون، والنون أيضًا روحانية فلروحانياتها اتصلت بالأول دون الثاني فالأخذ أي: أخذ الواو من العلوي أخذ اتِّصال، وإلقائها إلى السفلي إلقاء تبليغ، فهو المقام الجبريلي، فالعلوية تعطي المواهب مجملة، والواو بمنـزلة القلم عالم التسطير، فيفصلها عند الإلقاء والنون السفلي كاللوح فالأمور مُفصلة عندها بالقوة من حيث العلم.

وتدل (السين) على السلامة، وإشارة إلى أن الإنسان الكامل يستحق ثلاثمائة وستين نظرًا من الله تعالى.

أمَّا دلالتها على هذا العدد؛ فلأنه مرَّ أنها تقوم مقام الشين، وهي ثلاثمائة ونفسها ستين، وأمَّا كون الإنسان الكامل مستحقًا لهذا العدد من النظر؛ فلأن طينة آدم عليه السلام كانت في التخمير أربعين ألف سنة، وهذا المبلغ ثلاثمائة وستين (أربعينيات)، وبكلِّ أربعين استحق نظرًا من الله تعالى، فلما كملت الأربعينيات استحق النظرات المذكورة بكمالها، ولهذا صار قلب الإنسان وسع الربّ دون غيره وصار خِزانة للأمانة الإلهية.

كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب:٧٢]، ويدل على السمو وهو العلو والسيما والسما، والكل في الحقيقة أوصاف الحق وفيها الدلالة على عالم السماوات، وهو عالم الغيب الذي هو جزء من مطلق العالم، وكذا صار في المرتبة الثانية من هذه الكلمة حيث وقعت بعد الباء؛ لأن الباء ظهر بها كل شيءٍ من الروحانية، والجسمانية والعلوية والسفلية، والسفلية ظهرت من العلوية؛ لأنها كالروح للسفلية وكذا كلِّ عالٍ بالنسبة إلى سافله فتأمل!.

---

(١) الفهوانية: يعنون بها خطاب الحق بطريق المكافحة في عالم المثال [قاشاني].

وأمَّا (الميم) فلها الاتِّصال؛ لأنه كالباء والسين، فالباء والميم اتصلت بهما الشفتان بعد افتراقهما على ما هو شأن المحبين إذا اجتمعا، ولها وصلة بالنون إذا تعانقتا وامتزجتا، كما هو شأن الواصلين كما في: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ:١] امتزجت النون بالميم على طريق الإدغام فلا تعدد؛ إذ لا يشاهد إلا الميم فلا يبقى السائل ولا المسئول وهو المقام الذي قيل فيه: أنا من أهوى ومَن أهوى أنا .

وفي هذا المقام قال سيد الطائفتين الجامع للنورين الشيخ الكامل الجنيد البغدادي قُدِّس سرَّه:

وغَنَّى لِي مِن قَلبِي ... وَغنيت كَمَا غنَّى
وكُنَّا حَيثُ مَا كَانوا ... وكَانوا حَيثُ مَا كُنَّا

وفي هذا المقام قيل: «أنا الحق»(١).

وفيه قال الله تعالى: «كنت سمعه وبصره (٢)»، ولكنَّ الشدَّ على الميم يدلُّ على أنَّ هناك ذات أُخرى، وإن كان في عالم الشهادة ذاتٌ واحدةٌ، فالأحياء لله تعالى فقط، فلو رأيناه لغيره كما وقع لعيسى عليه السلام، ولبعض الكُمَّل، فإنَّه وإن كان المشاهد والمبصر للعين ليس إلا ذات واحدة لكن الفعل والأثر يدلان على أن ثَمَّ ذات أُخرى عنها كان هذا الفعل والأثر، فالشد في الحرف بمنـزلة الفعل والأثر، ولها نسبة قريبة أيضًا غير ما ذُكر، مع أن النون وهي إنها من العالم المهموس بالاعتبار المار سابقًا، والميم مرتبة ثانية للشفعية وهي الأربعة، فإن لها المراتب الأربعة وهي الأربعون في العشرات، وللنون مراتب خمسة وهي الخمسون، والخمسة: هي المرتبة الثانية للفردية؛ لأن أول الأفراد ثلاثة عند أصحاب العدد فلهما حُكم المجاورة في العدد؛ لأن الأربعين مجاورة لخمسين، ولهذا تدغم النون في الميم، وخفيت فيها، وإن الميم أولها منعطف على أخرها كالواو والنون فأشبهتها، وللميم مرتبة ليست لغيرها وهي المرتبة الشفعية، والنون كذلك فإنها من عالم الأنفاس والروائح فلها طريق في الخيشوم ليس لغيرها

(١) روى أن الحلاج رضي الله عنه مرّ يومًا على الجنيد رضي الله عنه فقال له: أنا الحق! فقال الجنيد: أنت بالحق أية خشبة تقصد! فتحقق فيه ما قال الجنيد: لأنه صلب بعد ذلك. وانظر كتابنا الإمام الجنيد (ص٧١).

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٤٦).

ذلك فكل منهما حرف شريف والميم لأبينا آدم، ولنبينا محمد عليهما وعلى سائر الأنبياء أفضل الصلاة، وأكمل التسليم إلى الأبد فهما شريكان فيها.

و(الياء) المتصلة بالميمين بسبب الوصلة بينهما؛ لأنها حرف علَّة.

فعمل نبينا ﷺ في آدم ﵇ عملاً روحانيًا بالياء، وإليه إشارة بقوله ﷺ: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين[1]».

وكذا وقعت في أول اسمه وآخر اسم آدم، وعمل آدم في نبينا ﷺ بالياء عملاً جسمانيًا فآدم أبو محمد، وعيسى أبونا في الجسمية، ومحمد أبو آدم، وأبونا وجد لعيسى، فإن أبوه روح القدس، وهو ابن لنبينا من حيث الروح.

(فالياء) لها أول العقد؛ لأنهَّا من العشرة فلها الأحدية في إنشاءِ العقد، ومرتبتها ثانية كالباء؛ لأنها ثانيةٌ من الأربعة التي اختصت بها العدد من الآحاد، والعشرات، والمئات والآلاف.

والباء هي الثانية من مراتب الحروف والوجود المطلق كما مرَّ، ولها البدايةُ في اليقين وفي قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢]، فهي النفخة الرحمانية كما أنَّ للباء بداية في الوجود، فلذا صارت نقطتهما في التحت إلا إنه جعل نقطتان للياء حتى تتميز عن الباء؛ لأنها متميزة عنها بالعشرة التي لها دون الباء، ولها المرتبة الثانية من مراتب الطبائع الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، فهي باردة واليقين أيضًا موصوف بالبرد وهو من أوصاف السعداء، والأولياء؛ لأن البرد من الفرح والسرور.

(والميم) لها دلالة على الملك والملكوت، والمراتب الإلهية والكونية والمعروف، والمحبّ والمحبوب، والمريد والمراد، والموجد والموجود، والمبدئ والمحصي، والمحي والمميت، والمالك والملك والمدام، والمقيم والمقام وغير ذلك.

فهي الدائرة التي أوله آخره، وآخره أوله، وهي المشتملة على العلويَّة والسفليَّة، ولهذا اتَّصلت الياء الساكنة بالميمين؛ لأنها حرف علة فعنها ظهرت الأحكام، والأمور المقربة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٨).

للسعادة الأبدية؛ ولأنّها حرف الأنبياء عليهم السلام حيثُ وقعت بين ميم آدم، وميم محمد عليهما الصلاة والسلام كما مرَّ.

قال الله تعالى في اتِّصال الأمر بيننا وبينه من هذا الوجه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [فصلت:٦]، ﴿بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً﴾ [الجمعة:٢]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦]، والكل من هذه الآيات يعطي الاتِّصال فاتصلت بها هكذا ميم، واتصلت الواو بالنون الأول هكذا نون لما مرَّ، ولم تتصل الألف بالواوين هكذا واو؛ لأن الواو الأولى و واو الهوية والهاء داخلة فيها كدخول الخمسة في الستة فأغنت عنها والواو الثانية واو الكون، وهي تحققت بها الهوية فوجدت بصورتها من أنواع أشكال (الهاء) سواء كان هكذا ه أو هكذا ه فتكون واو مقلوبة، أو هكذا ه فتكون رأس الواو.

فهذه الأشكال الثلاثة مقطوعة، وإن وُصلت فلها شكلان هكذا هـ ؟، والواو موجودة فيهما كما ترى في الأول مستقيمة، وفي الثاني مقلوبة، فهذا دليل على قوة نسبة الروحاني إلى جانب الحقّ المتعال، فالواو هي الدليل على وجود الصورة في قوله ﷺ: «إن الله خلق آدم على صورته[1]»، فظهر الكون على صورة المكون وحال بينهما حجاب العزة الأحمى المستدعية لرفع المناسبة بين الخلق والجناب الأعلى، فلا مناسبة لألف الأحدية بواوين: واو الهوية، وواو الكون، فلذا لم يتصل بأحد منهما، فإذا نظرت إلى الكون من حيث الصورة فهو عدم، وإذا نظرته من حيث الذات فهو وجود.

قال الشيخ - الأكبر - قدس سره: المد الموجود في الميم يدلُّ على أنَّ كلا من آدم، ومحمد عامل في الآخر، آدم من جهة الجسمية، ومحمد من جهة الروحية.

وقال: إن ميم بسم لآدم فإنه صاحب الأسماء، فالمد الموجود فيه عالم الأجسام ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١] لا نحو: خلقت من آدم، ولو خلقت من غيره لما صدق من نفس واحدة من حيثُ الجسمية، وميم الرحيم لمحمد ﷺ؛ إذ هو صاحب الرحمة ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وكذا ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٦١٢).

الأول: رحمة الإيمان. والثاني: رحمة الإيجاد.

فالمد الموجود فيه كان استمداد عالم الأرواح، فظهر مقامه ﷺ في عالم الأرواح أولاً ومقام آدم أخيرًا، أو في عالم الأجسام ظهر مقامه أخيرًا، ومقام آدم أولاً، فقيل لأجل هذا المذكور: بسم الله الرحمن الرحيم فهو الأول بالروحانية والآخر بالجسمية وآدم بالعكس، فأول من تنشق عنه الأرض غدًا محمد ﷺ فتبدوا روحانيته من أرض جسمه فيخلع عليه ويقرب.

وهذا الترتيب المذكور فيه إشارة إلى أن الخلق محجوب بالأسماء فيثبت لكلٍّ اسم مسمًّى مستقلاً فيقع في تيه الشرك والضلال، فيجب على العبد أن يخرج عن الأسماء فتغيب عنه المسميات إلا الله فيصل إلى الله فينتفع من جلاله وهو الرحمن، ويتمتع من جماله وهو «الرحيم» فما لم يخرج عن الاسم في النطق لا يصل إلى النطق بالله، وما لم ينطق بلفظ الله لا يصل إلى الرحمن وكذا الرحمن بالنسبة إلى الرحيم.

وفي البسملة أربع كلمات الأول بسم، والثانية الله، والثالثة الرحمن، والرابعة الرحيم، وتحت كلٍّ منها معاني ودقائق لا تُحصى، بل ليس شيءٌ خارجًا منها فلها الحيطة لجميع المراتب الحقيَّة والخلقيَّة، وكلّ ما فيها مندرج تحت الباء وما في الباء مندرج في النقطة التي تحتها، وتلك النقطة لها طرفين طرف الغيب، وطرف الحس فانتقلت من الغيبية إلى الحسية، ثمَّ ظهرت بالتكرار منها الحروف الثماني والعشرون، كل منها مركب من عدة نقطات، فالألف من سبعة، والباء والتاء والثاء من تسعة، والجيم والحاء والخاء من خمسة، والذال من ستة، والراء والزاي من أربعة، والسين والشين كالدال والذال، والصاد والضاد من ثمانية، والطاء والظاء من إحدى عشر، والعين والغين كالحاء والخاء، والفاء والقاف كالراء والزاي والكاف من خمسة عشر، واللام من عشرة، والميم كالفاء، والنون كالباء والواو من اثنا عشر، والهاء كالحاء، والياء كالألف، وظهرت من الحروف كلمات غير متناهية، ومن الكلمات الكلام إلى ما لا يدخل في الحدِّ والحصر، والعين واحدة ظهرت من الجموع وبطنت في المجموع، والكثرة إنما هي في الأسماء باعتبار خصوصياتها التي هي التعينات، والأسماء نِسب وإضافات وهي أمور عدمية بالنسبة إلى الخارج، وإن كانت بالنسبة إلى العقل موجودات، فليست في الوجود إلا ذات واحدة تتراءى متكاثرة بانفياض تلك الأمور العدمية إليه.

وقد عُلم مما مرَّ وجه قولهم: إن معنى القرآن كله مندرج في الفاتحة، ومعناها في البسملة، ومعنى البسملة في باء البسملة، ومعنى الباء في النقطة، ونشير إلى طرف من إشارات هذه الكلمات الأربع على قدر البضاعة المنجاة، وإن كانت من باب تحصيل الحاصل؛ إذ ما تركوا خصوصًا ابن العربي قُدِّس سرَّه شيئًا إلا وذكروه بأفصح العبارات، وبينوه بأوضح البيانات، لكن بحكم لكلِّ جديدٍ لذة.

وإن الله لا يتجلَّى في صورة واحدة لشخصين كما لا يتجلَّى في صورة واحدة لشخصٍ واحد مرتين فنتشبث بأذيالهم، ونقول: بأقوالهم، ونتكلم بكلامهم، فنقول: قد مرَّ في الكلمة الأولى من الإشارات ما يغني عن البيان هنا.

لفظ الجلالة:

فنقول في «الجلالة» أي: لفظ ﷲ؛ لأنه مسمّى بها عند الطائفة، يراد بها عندهم إمَّا الذات المطلقة المجردة عن جميع النِّسب والاعتبارات حتى عن قيد الإطلاق والتجريد، أو المرتبة الإلهية أي: أحدية جمع الأسماء الفعليَّة الوجوبيَّة، أو أحدية جمع جميع الأسماء الفعليَّة والانفعاليَّة والوجودية والإمكانية، كذا قاله الجامي في: «شرح الفصوص» رحمه الله.

وهو على ما قاله الشيخ محيي الدين ابن العربي -قُدِّس سرَّه: «بمنـزلة الذات للأسماء، ففيه يندرج كلُّ اسم، ومنه يخرج وإليه يعرج، وهو عند المحقِّقين للتعلق لا للتخلق، بل هو دليل الذات فقط، وله ظهور فيما ليس للذات التجلِّي فيها من المراتب الكثيرة، فالجلالة تعطي من المعاني المحتوية عليها ما يعطي ذلك الاسم الخاص من الأسماء به، فتكون نائبًا عن ذلك الاسم، وفيه يكون شرفه فالمذنب إذا قال: يا الله اغفر لي، فإن وقعت الإجابة فلا يجيبهم إلا الاسم الغفار، والجلالة هنا نائبة منابه، وله شرف في هذا المقام لقيامها لهيمنتها على جميع الأسماء مقامة وهي محتوية على أربعة ظاهرة في الرقم (ألف) الأولية، و(لام) يد الغيب المدغمة، و(لام) يد الشهادة المنطوق بها و(هاء) الهُوية، وعلى خمسة ظاهرة في اللفظ».

وحَكَمَ الشيخ بعدم ظهور اللام الأولى في اللفظ، وحَكَم بوجود حروف أخرى فيها ليست بظاهرة لا في اللفظ ولا في الرقم، وهي(واو) (هو)و (واو) (الهوية) إذا الهاء تدل عليهما، فالواو مدلول عليها، وبالجملة فحروفها من كلِّ التقادير لا تزيد على ستة وهي هذه (أ ل ل أ ه)، فالألف الأولى إمَّا ألف الأولية، أو ألف القدرة، أو الأحادية المقتضية للانعدام،

والألف الثانية في اللفظ دون الخط إشارة إلى الكمال الذاتي، فبثبوتها لفظ تدلُّ على تحقق وجود نفس الكمال في ذاته تعالى، وبسقوطها خطًا تدل على عدم نهاية الكمال؛ إذ المسقط لا يدرك فذلك الغير المتناهي، أو تدل على الذات البحت الذي كان فيه العماء ليس فوقه (هوا) ولا تحته (هوا) من غير اعتبار شيء فيه حتى الأحادية، واللامين إشارة الجلال والجمال المقدم إلى الجلال؛ لأنه أسبق إلى الذات من الجمال لعزَّته المتقدمة والمؤخر إلى الجمال المطلق الساري في المظاهر أو (اللام) الأولى للمعرفة؛ لأن (الألف) لكان الله ولا شيء معه، و(اللام) الثانية لام الملك، فإنه لو زالت صورة الألف واللام الرقمية يبقى له، و(الهاء) كناية عن غيب الذات المطلقة باعتبار أن (الهاء) أول الحروف ولها المبدأ وهو غيب في الإنسان وأقصى الغيب، أو أنه كناية عن صفة الباطن، وحتى يكون الألف كناية عن صفة الظاهر، فإن الأول للإضمار، والثاني للإظهار.

وقال الشيخ الجيلي -قدس سره-: استدارة رأس الهاء إشارة إلى دوران رحا الوجود الخفي والخلقي على الإنسان الكامل، فإن في عالم المثال كالدائرة فإن شئت قلت: هي خلق وجوفها حق أو بالعكس أو قلت: بأن الأمر فيه مبهم دوري بين أنه خلق فله العبودية والعجز والافتقار، وبين أنه على صورة الرحمن فله العز والكمال، فهي الحقيقة البرزخية التي هي للكُمَّل والجمع مع الفرق، ويجوز أن يُقال أن اللامين تدلان على النعمتين المتحركة على الظاهرة والساكنة على الباطنة؛ لأنهما متفقتان في الجنسية كاللامين.

وأما (الواو) فهو على ما قاله الشيخ الأكبر قدس سره لعالم الشهادة، كما أن الهاء لعالم الغيب، والواو في الهاء ما لها ظهور لا في اللفظ ولا في الرقم؛ لأن الغيب المطلق هو الله تعالى، ولا يتمكن ظهور عالم الشهادة فيه فكانت غيبًا في الغيب، وغيب الغيب هو هذا، ومن هنا يثبت شرف الحس على العقل؛ لأنه غيب في العقل، واليوم هو الظاهر دون الحس، وفي الغد نظرتْ إليه تعالى الأبصار فكانت الغايات لها، والبدايات للعقول، فالحس أشرف من العقل في كلِّ شيءٍ؛ لأنَّه إليه يسعى العقل ومن أجله ينظر، فصار (عالم الشهادة) غيب الغيب، ولذا ظهر في الدنيا من أجل الدائرة؛ إذ الدائرة ينعطف آخرها على أولها كانعطاف آخر الواو على أوله هكذا (واو) فصار (عالم الشهادة) أولاً مقيَّد عما يجب له من الإطلاق، فلا يبصر البصر إلا في جهة، ولا تسمع الأذن إلا في قرب بخلاف ما إذا انطلق من هذا القيد مثل سماع سارية ونظر عُمر ﷺ، وبلغ الصوت إليه مع بُعد المسافة بينهما جدًا؛ لأنه كان في المدينة.

وسارية مع العسكر كانوا فوق همدان بقرب منه في عالم الغيب، وهو عالم العقل، صار في الوسط لما أنه يأخذ عالم الشهادة المقيد عن الحس البراهين لما يريد العلم به، وعالم الشهادة صار غيب الغيب كما مرَّ، وهكذا صورته:

واللام بصورته الرقمية برزخ لتوسطه بين الألف والهاء، فيمكن الإشارة باللام إلى عالم العقل وهو معقول؛ لأن الهاء للغيب، والألف للظهور والشهادة، واللام للعقل المتوسط.

فإنه يأخذ الدليل من عالم الحس فيصل به إلى ما في عالم الغيب، فلفظ الجلالة بهذه الإشارات شاملة على: «**كان الله ولا شيء معه**»(١)، وعلى مقام المعرفة والملك، وعلى أن ظهور ما سواه به، وعلى أنَّه باطن كما هو ظاهر، وأنه لا مقاومة لاسم من الأسماء معها ألا ترى أن فرعون صرح بالربوبية فقال: ﴿**أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات:٢٤]، وما قال: أنا الله؛ لأن الربوبية لا تقوى قوة الألوهية، ودعائه الألوهية ما كان بلفظ الله بل بلفظ إله لا مطلقًا بل مقيدًا بغيره فقال: ﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص:٣٨]، وذلك؛ لأنه قالها: على المشيئة لا عن الحال من طريق الأمر فلم يتجرأ أن يقول: أنا الله أو إله بالإطلاق، فلا يرد قول من قال: هذا عن الحال من طريق الأمر.

كما وقع لأبي يزيد البسطامي قُدِّس سرَّه حيث قال: «مرة أنا الله، وقال: إنني أنا الله لا إله أنا فاعبدون». وهذا من كمال سريان الألوهية بحيث لا يبقى موقع فارغ منها من الظاهر وهو من حيث الواقع، فإنها ليست جارحة من جوارح أمثال هذا القائل، ولا عرق من عروقه، ولا شعرة من شعره إلا وهي ذاكرة له تعالى وعارفة به تعالى، ولفظ (الله) وقع في القرآن على ما قاله الشيخ ﷺ بلسانين العربي والعبراني أو لسان الظاهر ولسان الاعتبار.

الرحمن:

وأمَّا اسم (الرحمن) فله الهيمنة على جميع الأسماء كاسم (الله) لله الأسماء الحسنى، وللرحمن الأسماء الحسنى وهما مدعوان: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَياًّ مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى**﴾ [الإسراء:١١٠] لكنَّ الله ممنوع الحِمى مطلقًا أبدًا، وكذا الرحمن ما دامت

---

(١) رواه البيهقي في الكبرى (٩/ ٢) وبنحوه في البخاري (٣/ ١١٦٦).

معه ألف أنا، ولام المعرفة، وإذا زالا تقول: يا رحمن الدُّنيا والآخرة كما تقول: إلهنا وإلهكم أو إلهك و إلهي؛ لأنه حقًا تقع الكناية عنه بألا فالهاء هو الهوا والهوا هو الله والله هو الهوا والله اسم الذات المجازية التي تتنوع في الصور على البصائر والأبصار، وظهر هذا التنوع البصري في أعيان الأرواح كالصورة الدحية ونحوها، والهوا من هذا الاسم هو اسم الذات الحقيقية التي تتنوع فيها الصور، وتتقدس في نفسها عن التنوع والانتقال.

قال الشيخ -قُدِّس سرَّه: «الرحمة تناقض التكيف دون الألوهية، ولهذا قيل لهم: اعبدوا الله ما قالوا: وما الله ؟ ولما قيل لهم: اسجدوا للرحمن قالوا: وما الرحمن ؟ فزادهم نفورًا حيثما عرفوا الحقيقة وما عقلوها ولو عرفوها لعرفوا أن للرحمن الأسماء الحسنى كما لله، ولو عرفوا أن له الأسماء الحسنى أيضًا لعرفوا أن من أسمائه المكلف والمعبود وغير ذلك أيضًا».

وقال أيضًا: «لما كانت الهيمنة له على جميع الأسماء اختص بالأستواء، وبها في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، وبالعلم بالسر بما هو أخفى، فالرحمن جمع الجمع فإنه المعلم الجاعل العلامة في عين الجمع بالتمانع».

وقال بعضهم: «الرحمن شاهد غيب اللاهوت، والرحيم شهادة شاهد الرحمن، ومعلوله، والرحمن اشتق من الرحمة مبالغة، ولذا كان المراد إرادة الأنعام ونفس الأنعام على العبد، ثم صرف إلى الذاتي أيِّ: الحقيقة الذاتية فصار مُختصًا بالذات بحيث لا يسمَّى به غيره تعالى لكونه الجامع للحقائق الذاتية».

الرحيم:

وأمَّا «الرحيم» ففيه الميم المحمَّدي وجامع لأسماء الأفعال، وهي المائة التي نزلت واحدة منها لدار الدُّنيا وبقيت تسعة وتسعون لدار الآخرة، وهو من صفات الأفعال من جهة أنها مأخوذ من الرحمة التي هي نفس النعمة.

فقال بعض المشايخ: إن الهو، والله: سمَّيان الأول بالرحمة، والثاني بالرحيم، والرحيم مشترك مع الرحمن في الإحاطة على الوجه المذكور فهو دائرة الرحمن، والرحمن دائرة الدوائر ووجه الوجوه وجهة الوجهات.

وقال الشَّيخ -قُدِّس سرِّه: «اسم من ثلاثة أسماء ظهرت في كلِّ منزلة، وهو اسم مشترك في التنكير، ومفرد في التعريب اسم مختص بالإيمان والتَّقوى والاتِّفاق والاتِّباع، وهو

في الألوهية مطلق، وإذا اتبع لاسم آخر مثل قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، وقوله: ﴿الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور:٢٨]، فليس لضعف فيه، وهو في الكون مؤيد بغيره، أو مختص مقيد بحضرةٍ قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فالرحمانية لها الوجود الإيجادي، ولها الصبغة، والرحيم لها الصبغة والنعت والصفة، والرحمن لإيجاد الأعيان، والرحيم لتعين المراتب انتهى».

والرحمن واسطة بين الله وبين الرحيم، ويوجد منها ما هو من خصائص الذات من اللطف والإيجاد والقهر والإفناء فخُص بالذات، ويوجد من الرحيم اللطف والإيجاد والإبقاء دون القهر والإفناء؛ لأن الله تعالى أخبر عن صفة الإفناء، والإيجاد، والإثبات بالرحمن حيث قال في كتابه العزيز: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً﴾ [الفرقان:٢٥] ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٢٦].

وقال أيضًا: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ [الفرقان:٥٩].

وقد صَرَحَ به الشيخ الجليل -قدُّس سره العزيز- وحكى «أنه لما خلق الله «الرحمة» تعلقت بـ«الرحمن»، فقال: مه قالت: لَن أبرح». فهذه إشارة أشارها المشير، وسر أسره اللطيف الخبير فكلٍ من الاسمين الشريفين فيهما رحمة متعلقة بالثقلين وغيرهما في هذه الدار بالعموم، وفي الدارين بالخصوص، فصار حرف الأول (راء) الرحمة، والثاني حائها، والثالث ميمها في الرحمن دون الرحيم فإن فيه صار رابعًا؛ لأنه ميم الحمد كما مرَّ ولإحاطتها وجدت الميم فيهما، وتوسطت في الرحمن؛ لأنها من عالم المثال المتوسط، و (الراء) مجرد معرفة بنفسها لا تحتاج إلى التعريف، و(الألف) حقيقة فيها من حيث المنطوق، ومنفصلة عنها، فكل حرف من حيث المنطوق توجد فيها الألف عينًا إن كان منطوقها ثُنائيًا، وإن كان ثُلاثيًا فقد تكون عينًا، وقد تكون غيبًا، وعلى تقدير أن تكون عينًا قد تكون متصلة، وقد تكون منفصلة.

وهذا إشارة إلى المعية الأزلية وإلى اتِّصال الوجود بالعالم ظاهرًا وباطنًا، وإنه ليس شيء خياليًا منه، و(الألف) في (الواو) إشارة إلى التكرار من غير انتقال، والحال مجددًا (كالراء) مُعرفة بنفسها، (والميم) مَرتبة علوية واجبة ليس لها مثال في السفل، والنون والواو في أنها

حقائق في التنـزلات بالتجليات إلا أن وسط الواو الألف المجرد العلوي الذي ليس له مثال في السفل في الرسم العربي ووسط النون الواو الذي لا مثال له في المجردات العلوية، والياء معرفة ليس لها مثال في العلو.

وهذا الذي ذكرته مبنى على تقسم بعضهم الحروف إلى قسمين:

مجرد: وهو المعرفة بنفسه الغير المحتاج إلى التعريف.

ومُعرف: وهو النكرة في نفسه المحتاج إلى التعريف وهو النقطة؛ لأن الفرق بين بعض الحروف بالنقط وهي أصل الحروف كما مرَّ.

والمجرد أيضًا قسمان:

علوية واجبة: التي ليس لها مثال في السفل حتى تتعلق به، ويتعلق بها كالألف واللام، والهاء التي هي حقيقة الجلالة، والميم والكاف.

وعلوية مجردة روحانية: لها مثال في السفل يتعلق بها، وتتعلق به كالحاء، والدال والراء والسين والصاد والطاء والعين.

والمعرف أيضًا قسمان:

ما له في المجردات مثال: كالخاء والجيم والذَّال والزَّاي والشين والضاد والظاء والغين؛ إذ لو رفع عنها المعرف وهو النقطة لانتقلت إلى الحاء والدال إلى آخر المجردات.

وما ليس له مثال في المجردات: فمتى رفع عنه التعريف لم يبق له محل يصير إليه ولا شكل يُقال عليه، وهو الباء والتاء والثاء والياء والنون.

ثم قال ذلك البعض الذي قسم الحروف بهذا التقسيم: «فالعقول الناطقة لا تحتاج إلى التعريف؛ لأنها أعلام عارفة في نفسها معرفة لحقائقها، والنفوس الناطقة معرفة بالعقول المعيشية المكتسبة، وما من نفسٍ ناطقة إلا ولها مثال من العقول الإلهية، فمتى ارتفع حكم التعريف اتَّحدت النفس الناطقة بمثالها من العقول وتوجهها، والنفوس الحيوانية متى ارتفع عنها حُكم التعريف عادت إلى اللاشيء؛ إذ ليس لها مرتبة في العقول المجردة حتى ترجع إليها، والحقائق المفردة أشرف من العقول المجردة لكونها على صورة الحضرة الكاملة الواجبة من حيث التجريد؛ لأن الألف واللام والهاء والميم والكاف مجردات عن التعريف والمثل،

فمن أمحا نقطة النفوس التي هي على مثالها وأزالها ارتفع التعريف والمثل، وصارت المرتبة كالمرتبة الواجبة من غير تعريف ومثل، وهي حقائق الفناء والتجريد، والبقاء بالاتّحاد والتوحيد» انتهى كلامهم مُلخصًا.

وقال أيضًا: «إن المراتب الإلهية لا تتصل، ولا تنفصل وإنما الانفصال بالنعت والمرتبة لا بالحقيقة، وتفهم هذا الاتّصال والانفصال إن المداد المطلق هو الوجود.

والقلم هو الحق الموصوف بالوجود تعليلاً بالزيادة وهو المشترك وهو الواضع بالقلم مثال ما فيه تعيينًا في شهادة اللوح، فتكون النقطة أول مركز، ثم كذلك ثاني مركز إلى ستين مركزًا، ولذلك جاء حزب القرآن ستين حزباً تحقيق أجراه الحق، وحكمة أظهرها مفيضًا الأمر والخلق وهو العمر الذي بلغه النبي ﷺ بقوله: «**يدخلون الجنة على صورة أبيهم آدم ستين ذراعًا**»(١)؛ ولذلك قال ﷺ: «**عُمر أمتي ما بين الستين إلى السبعين**»(٢).

ولما كانت الأيام التي خلق فيها السماوات والأرض ستة أيام كانت ست عشرات مكررة، وما زاد من الستين في عمر نبينا ﷺ فهو تكملة للتفاوت في الأشهر العربية، فالقرآن نور له الهيمنة على الأنوار.

وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالى أيضًا: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:٣٨].

وهو على سورة مُحكمة موزونة: ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق:٣٧]، فالسورة دائرة كاملة، ولكلِّ سورة آية مُحكمة، وهي قطب دائرتها وأمُّ كتابها، وهي محققة في بسم الله الرحمن الرحيم، فهو فاتحة لكلِّ دائرة وأُفق من الآفاق الكلية، وفلك من الأفلاك الجامعة وانتظامها بنظامه، ففيه المراتب الحقيَّة والخلقيَّة كلها.

وفيه (الألف) التي هي الحقيقة المنفصلة عن الإمكان.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤١٥).

(٢) رواه الترمذي (٤/ ٥٦٦).

(واللام) التي هي الحقيقة المتصلة بالإمكان.

و(الميم) التي هي دقيقة منفصلة عن الوجوب؛ لأن الوجوب منفصل عنه لما مرَّ.

و(الباء) الموحدة التي هي العدل، والحق الذي قام به السماوات والأرض.

و(السين) هي التي هي من المجردات العلوية التي لها من السفلي مثال، وهي الدالة على عدد السين، ولا فرق هنا بين المسمَّى والاسم إلا بمركز معرف بنقطتين إشارة إلى أن له مرتبتين؛ لأنه من العشرات وداخل فيه الآحاد فافهمه.

وفيه (الحاء) المجردة العلوية التي لها مثال من السفلية، ولا يعرف سر الحاء إلا من هو مثل الحاء فلا يحتاج إلى معرف، وانظر إلى أنه هو حرف ثاني من اسم أشرف الخلق، ومن روحه حملة عرش الحق، وفيه ترتيب عجيب على نمط غريب؛ لأنه بدأ بالباء؛ لأنه اثنان لا بالألف حيث أريد الظهور، وإدخال الوجود الأول في الثاني، فصارت الباء من عالم الشهادة من أجل الظهور والغيب مدرج، فلمَّا انتهى إلى السين عاد إلى ما منه بدأ هو الميم، ثم بدأ باللام، فعاد إلى ما منه بدأ وهو الهاء.

وقال الشيخ قُدِّسَ سرَّه: «ثم بدأ بالألف في كلمة الله فلمَّا وصل إلى اللام عاد إلى ما منه بدأ وهو الهاء، فالتقت اللام بالسين فى الوسط، فكل شيءٍ بسم الله، ومن عرفه لم يحتج إلى علم سواه».

وقال بعض الأكابر: بسم الله منك بمنـزلة كن منه، فهو الحادي لكلِّ شيءٍ، والساري في كلِّ شيءٍ، فلا يخرج منه شيء، وتحقيقه أن وجودي بذاتي، بل إن الوجود عين ذاتي وللصفات كلها قائمة لي، والأسماء لي ووجود الأشياء وظهورها بي، وقيامها بقيوميته فله الأمر من قبل، ومن بعد وله الحمد.

ثم نتكلم بلسان العقل: الباء جارَّه والاسم مجرورها، وهو متعلق ولا بُدَّ له من متعلق، فإذا لم نره ظاهرًا فحُكم بأنه مُقدَّر فهو باطن وغيب، ولما كان المتعلق بفتح اللام غيبًا غير ظاهر مع كونه متحققًا ثابتًا يتطرق إليه جميع الاحتمالات الممكنة لعموم إحاطته، واشتماله جميع الأمور، والأعمال والأفعال الظاهرة والباطنة، فيمكن أن يكون المراد أن الأمور كلها بسم الله إجمالاً وتفصيلاً أي: من حيث التعيين، ففي لسان العقل رمز غريب إلى لسان الحقيقة.

والاسم عند النحاة اللفظ الدَّال على المسمَّى وليس بمسمى بل لفظه وأثره، فالمدعو بذلك اللفظ المسمَّى والألفاظ أيضًا المسمى.

وكلمة (ٱللَّهُ) إن كان اللفظ الدال على المسمى فالإضافة للبيان؛ إذ لا يجوز أن يكون للاسم، وإن قلنا: الاسم قد يُطلق ويراد به المسمَّى، فهنا أطلق لفظ الله وأريد به المسمَّى وهو الذات الكاملة الواجبة فالإضافة للاختصاص أي: اختصاص جنس المضاف بالمضاف إليه فيعمُّ جميع اسمائه، أو اختصاص الفرد الخاص وهو لفظ الله، فيكون مع التقدير الأول واحدًا؛ لأن التقدير الأول بسم هو لفظ ٱللَّهُ أي: بلفظ ٱللَّهُ، والتقدير الثاني باسم هو للذات المسمَّى بهذا اللفظ وهو الله، فكأنه قال: بلفظ الله أيضًا، والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان عرض عليهم اللزوم، أو حُكم اللزوم، والمراد بهما إمَّا إرادة الإحسان والإنعام أو نفس الإحسان والإنعام من إطلاق السبب في مسببه القريب أو البعيد.

انتهى المراد نقله من المخطوط، والله المستعان وعليه التكلان، وصل اللهم على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم كثيرًا.



اهم المصادر والمراجع

- اصطلاحات الصوفية للشيخ ابن عربي الأكبري.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- إيضاح المكنون للبغدادي.
- الانتصار للأولياء الأخيار للكردي الموصلي (بتحقيقنا).
- الأعلام للزركلي.
- الإمام الجنيد سيد الطائفتين (المزيدي).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، المكتبة العلمية.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- التعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي، الكليات الأزهرية.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية ١٩٦٧م.
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري.
-جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.
- حلية الأولياء لأبي نعيم.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي.
- الرسالة القشيرية للأبي القاسم القشيري.
- الزهد لأحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الترمذي، طبعة المكتبة الإسلامية.
- سنن الدارمي، طبع دار إحياء السنة النبوية.
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣م.
- سنن النسائي (الكبرى والصغرى).
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- الضوء اللامع للسخاوي.
- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني.
- عجائب الآثار للجبرتي.

- عرائس البيان في حقائق القرآن لروزبهان البقلي (بتحقيقنا).
- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.
- فيض القدير على الجامع الصغير للمناوي.
- قوت القلوب لمكي بن أبي طالب.
- كشف الخفاء، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.
- كشف الظنون لحاجي خليفة.
- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي (بتحقيقنا).
- لطائف الأعلام للقاشاني.
- لسان العرب لابن منظور.
- مسند الإمام أحمد.
- المصنف لابن أبي شيبة.
- المصنف لعبد الرزاق.
- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة.
- مختصر الفتوحات المكية للشيخ الشعراني (بتحقيقنا).
- جلاء القلوب من الأصداء الغينية للشيخ محمد جعفر الكتاني (بتحقيقنا).
- شرح الصلاة الأكبرية للقادري (بتحقيقنا).
- شرح الحكم الأكبرية للباني (يسر الله تحقيقه).
- الورد الأُنسي في ترجمة العارف بالله سيدي عبد الغنى النابلسي للعامري (قيد التحقيق).
- القرى الممدود شرح نظم مراتب الوجود للجيلي، للغرس الوفائي (بتحقيقنا).
- فخر الأبرار فيما تضمنه اسمه محمد ﷺ من الأسرار للخليلي (بتحقيقنا).
- مجمع البحرين شرح الفصين (حكم الفصوص والفتوحات) للشريف ان ناصر الكيلاني (بتحقيقنا).
- المسامع لسيدي علي وفا (بتحقيقنا).
- هدية العارفين للبغدادي.

طرف الحديث	الصفحة

فهرس الموضوعات

❁❁❁